

# نشأة الفقه الشافعي واتساعه في العالم الإسلامي

«عوامل انتشار المذهب الشافعي في القرن الثالث الهجري، ورُقعة انتشاره»

مؤتمر الإمام الشافعي الدولي، سَراوق – ماليزيا

١٧-١٨ / ٥ / ٢٠٢٣ م

كتبه

الدكتور أمجد رشيد

عميد كلية الفقه الشافعي، جامعة العلوم الإسلامية العالمية

مؤسس معهد «مدارك» ومديره

المملكة الأردنية الهاشمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذا بيانٌ لنشأة المذهب الشافعي، ومراحل تدوينه، وعوامل انتشاره واتساعه في الأمصار، من خلال تتبع الروايات التاريخية وكُتُب الطبقات، وما كتبه علماء المذهب حول ذلك.

وتأتي هذه الورقة ضمن فعاليات «مؤتمر الإمام الشافعي الدولي» المنعقد بولاية سراوق الماليزية، بدعوة كريمة من سماحة مفتي الولاية داتو حاج كفلي بن حاج ياسين حفظه الله تعالى.

وقد قسّمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإمام الشافعي حياته وتكوينه العلمي.

المطلب الأول: اسمه ومولده ونشأته وأسرته ووفاته.

المطلب الثاني: طلبه للعلم ورحلاته.

المبحث الثاني: مراحل تدوين المذهب وروايته.

المطلب الأول: تدوين الإمام لأقواله ورواية أصحابه وتدوينهم عنه.

المطلب الثاني: توسع دائرة التأليف في المذهب.

المبحث الثالث: عوامل انتشار المذهب الشافعي في الأمصار.

المطلب الأول: العوامل الخاصة بالإمام الشافعي.

المطلب الثاني: العوامل الخاصة بأصحاب الإمام الشافعي.

## المبحث الأول

### الإمام الشافعي حياته وتكوينه العلمي.

#### المطلب الأول: اسمه ومولده ونشأته وأسرته ووفاته.

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطَّلِب بن عبد مناف بن قُصَيِّ القُرَشِيِّ المَطَّلِبِيُّ<sup>(١)</sup> الشَّافِعِيُّ<sup>(٢)</sup> الحِجَازِيُّ<sup>(٣)</sup> المَكِّيُّ<sup>(٤)</sup>. وأُمُّهُ أَزْدِيَّةٌ<sup>(٥)</sup>.

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِئَةَ (١٥٠ هـ) - وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي تَوَفَّى فِيهَا الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - (٨٠-١٥٠ هـ).  
وقد قال الإمام الفقيه الشافعي الصالح عفيف الدين الياضي اليمني في ترجمة الشافعي وسنة ولادته: «قلت: وبيننا وبين الحنفية مقالة على سبيل المزاح، فهم يقولون: إمامكم كان مخفياً حتى ذهب إمامنا، ونحن نقول: لَمَّا ظَهَرَ إِمَامُنَا هَرَبَ إِمَامُكُمْ». انتهى<sup>(٦)</sup>. رضي الله عن الإمامين أبي حنيفة والشافعي.

وجمهور العلماء على أن مولد الشافعي كان بغزة.

مات أبوه إدريس شاباً، فخافت أم الشافعي عليه الضيعة بغزة فتحولت به إلى مَحْتَدِهِ مَكَّةَ، وهو ابن عامين، فنشأ بها في حجر أمه في قلة عيش وضيق حال، وحُبَّبَ إليه الرَّمْيُ فأقبل عليه حتى فاق الأقران وصار يُصِيبُ مِنْ عَشْرَةِ أَشْهُمٍ تِسْعَةً<sup>(٧)</sup>.

زَوْجَتُهُ: حَمْدَةُ بِنْتُ نَافِعِ بْنِ عَبْسَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَثْمَانَ، وَكَانَتْ أُمَّ وَلَدِهِ، تَزَوَّجَهَا بِصِنْعَاءَ<sup>(٨)</sup>.

(١) نسبة إلى جدّه المطَّلِب بن عبد مناف، فالشافعي من أولاد عمومة النبي ﷺ يَلْتَقِيَانِ فِي الْجَدِّ الثَّالِثِ لَهُ ﷺ وهو عبد مناف، فإنَّ لَعَبْدِ مَنْافٍ أَرْبَعَةً مِنَ الذِّكُورِ هُمْ: «هاشم والمطلِّب وعبد شمس ونوفل». فالنبي ﷺ من أولادِ هاشم فهو ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطَّلِب بن هاشم بن عبد مناف، والشافعي من أولادِ المطَّلِب،

(٢) نسبة لجدّه شافع.

(٣) نسبة إلى الحجاز، وهو مكة والمدينة والطائف.

(٤) نسبة إلى مكة شرفها الله تعالى، باعتبار أصله، ونزوله ونشأته بها، وكان مسكنه بالحيف من منى.

(٥) نسبة إلى الأزد، قبيلة مشهورة من قبائل اليمن.

(٦) «مرآة الجنان وعبرة اليقظان» (٢: ٢٠).

(٧) «الوافي بالوفيات» (٢: ١٢١).

(٨) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١: ٢٢٥).

سُرِّيَّتُهُ: اسمُها «دنانير»، وهي مصريةٌ مذكورةٌ في «كتاب الوصية والصدقة»<sup>(١)</sup>.

أبناءؤه: له ابنانِ اثنانِ كما حرَّره الحافظُ البيهقي، وقيل: ثلاثة، وهما:

١- أبو عثمان، محمد بنُ محمد بنِ إدريس، وهو الأكبرُ من ولده، من زوجته «حمدة العثمانية». وهو الذي قال له أحمد بنُ حنبل: «إني لأدعو الله في الصلاة - أو في السَّحَر - لإخواني، أبوك خامسُهم». كان قاضيَ مدينة حَلَب بالشَّام، وحدث عن أبيه وأُملى بمدينة «رأس العين»<sup>(٢)</sup> بتركيا ما بين نصيبين وحرَّان على الحدود الشمالية لسورية<sup>(٣)</sup>، ونزل أيضًا بالجزيرة من بلاد تركيا، وبها مات بعد سنة ٢٤٠ هـ<sup>(٤)</sup>. ٢- أبو الحسن، ولد بمصر من سُرِّيَّتِهِ «دنانير»، تُوفى الشافعي وهو طفل<sup>(٥)</sup>.

بنائه: له من امرأته العثمانية ابنتان؛ فاطمة وزَيْنَب، وهما مذكورتان في كتاب الوصية.

و «زَيْنَب» هي أمُّ الإمام أبي محمد أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب، المشهور بابن بنت الشافعي.

مرضه ووفاته: كان الإمام الشافعي عليلًا شديد العلة، حتى رُبما يُخْرِجُ منه الدَّمُ<sup>(٦)</sup> وهو راكبٌ حتى تمتلئ سرَّويله ومركبُه وخُفُه كما قال تلميذه الربيع<sup>(٧)</sup>.

وقال الربيع بن سليمان: لما كان مع المغرب ليلة مات الشافعي قال له ابن عمه ابن يعقوب: ننزل نُصَلِّي؟ قال: تجلسون تنتظرون خروج نفسي؟ فنزلنا ثم صعدنا فقلنا: صلينا أصلحك الله. قال: نعم، فاستسقى - وكان شتاءً

(١) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١: ٢٢٥).

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ٧٤).

(٣) «معجم البلدان» (٣: ١٤).

(٤) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ٧٣).

(٥) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١: ٢٢٥).

(٦) في «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٢٩١) عن محمد بن عبد الحكم قال: كان الشافعي قد مرض من هذا النَّاسُور مرضًا شديدًا حتى ساء خلقه، فسمعه يقول: «إني لآتي الخطأ وأنا أعرفه».

قال البيهقي: «قد قيل: أراد به ترك الحمية وتناول ما لا يصلحُه. وقيل: أراد به فيما كان يتحفَّظُه قبل ذلك من مكارم الأخلاق».

(٧) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٢٩١).

- فقال له ابن عمه: أَمْزُجْهُ بالماء المُسَخَّن؟ فقال له الشافعي رحمه الله: لا، بل بِرُبِّ السَّفَرِ جَل. وتوفي مع العشاء الآخرة، رحمه الله عليه.

وقال الربيع: رأيت في المنام أن آدم مات ﷺ ويُريدون أن يخرجوا بجنازته فلما أصبحت سألت بعض أهل العلم عن ذلك فقال: هذا موت أعلم أهل الأرض: إن الله عز وجل علّم آدم الأسماء كلها. فما كان إلا يسيراً حتى مات الشافعي رحمه الله (١).

قال الربيع: توفي الشافعي رحمه الله ليلة الجمعة بعد المغرب وأنا عنده، ودُفن بعد العصر يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين (٢).

قال الإمام النووي: «وقبره رضي الله عنه بمصر عليه من الجلالة، وله من الاحترام، ما هو لائق بمنصب ذلك الإمام» (٣).

حليته: كان رحمه الله يَخْضِبُ بِالْحِنَاءِ وكان خفيف شعر العارضين، وقال المزني: ما رأيت وجهًا أحسن من وجه الشافعي، ولا رأيت حيةً أحسن من لحيته، وكان ربما قبض عليها فلا تفضل عن قبضته (٤). وعن إبراهيم بن برانة قال: كان الشافعي جسيماً، طوالاً، نبيلاً (٥).

---

(١) انظر هذه الأخبار في موت الشافعي رحمه الله في: «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٢٩٩-٣٠٥).

(٢) «المجموع» (٨: ١).

(٣) «المجموع» (٨: ١).

(٤) «تاريخ دمشق» (٥١: ٢٨٠).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٣٩).

## المطلب الثاني: طلبه للعلم ورَحَلَاتُهُ.

بداياته في مكة: حُبَّبَ لِلشَّافِعِيِّ العلم كما حُبَّبَ له الرَّمي، فعن عمرو بن سوادٍ قال: قال لي الشَّافِعِيُّ: كانت نَهْمَتِي في شَيْئَيْن؛ في الرَّمي وطلب العلم، فَنِلْتُ من الرَّمي حتى كُنْتُ أُصِيبُ من عشرة عشرة، وسَكَتَ عن العلم، فقلت له: أنت والله في العلم أكبرُ منك في الرَّمي<sup>(١)</sup>.

طلب العلم من صِغَرِهِ مع شِدَّةِ الفقر، فكان يُجَالِسُ العلماء، ويَكْتُبُ ما يَسْتَفِيدُهُ في العِظام ونحوها؛ لَعَجْزِهِ عن الِوَرَق، حتى مَلَأَ مِنْهَا جِابًا<sup>(٢)</sup>، وحفظ القرآن العظيم وهو ابنُ سَبْعِ سِنِينَ، و«موطأ الإمام مالك» وهو ابنُ عَشْرِ سِنِينَ<sup>(٣)</sup>.

اتصاله بقبيلة هذيل وتنقله معهم: أَقْبَلَ على العَرَبِيَّةِ وتاريخ العرب فقال: «خرجتُ من مكة فَلَزِمْتُ هَذِيلًا في البادية أتعلمُ كلامها وأخذُ طَبْعَهَا، وكانت أَفْصَحَ العرب، فَبَقِيتُ فيهم سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً أرتحلُ بِرَحْلَتِهِمْ وَأَنْزَلُ بَنُوهُمْ، فلما أَن رَجَعْتُ إلى مكة جعلتُ أَنْشُدُ الْأَشْعَارَ وَأَذْكُرُ الْأَدَابَ والأخبارَ وأيامَ العرب»<sup>(٤)</sup>.

ثم حُبَّبَ إليه الفقه فأقبل عليه حتى بَرَعَ فيه وسَادَ أَهْلَ زمانه<sup>(٥)</sup>. وقد قال لَمَّا سُئِلَ عن سَبَبِ إقامته في علم العربية وأيام الناسِ نحوَ عَشْرِينَ سَنَةً: «ما أَرَدْتُ به إِلَّا الاستعانةَ على الفقه»<sup>(٦)</sup>.

كما حصل علم الحديث روايةً عن جماعةٍ من أئمة هذا الشأن كسُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ ومالكِ بنِ أنسٍ.

أما الفقه فحَصَّلَهُ أَوَّلًا على مفتي مكة مسلمِ ابنِ خَالِدِ الزَّنْجِيِّ (ت ١٨٠ هـ)<sup>(٧)</sup>، حتى بلغَ فيه مَبْلَغًا كَبِيرًا في سِنٍّ

(١) «آداب الشَّافِعِيِّ ومناقبه» (ص ١٩).

(٢) جمعُ حُبٍّ، وهي: الخابية؛ أي: وعاءُ الماء الذي يُحْفَظُ فيه. انظر: «مختار الصحاح» (ح ب ب) و«المعجم الوسيط» (خابية).

(٣) «تاريخ بغداد» (٢: ٣٩٢).

(٤) المرجع السابق (٥١: ٢٨٥).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٦).

(٦) «ترتيب المدارك» (٣: ١٨٤).

(٧) كما أخذ الشَّافِعِيُّ بمكة عن أئمة آخرين فقهاء وحُفَّاظًا ومُؤَرِّينَ، فمن شيوخه بها: عَمُّهُ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ بنِ شافِعٍ - فهو ابنُ عَمِّ

العباس جَدَّ الشَّافِعِيِّ -، وسُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ (١٠٧-١٩٨ هـ)، وداودُ بنُ عبد الرَّحْمَنِ العَطَّار (ت ١٧٤ هـ)، وعبدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي

بكر المُلَيْكِيِّ، وسعيدُ بنُ سَالِمِ القَدَّاح (ت ١٩٠ هـ) ونَيْفٌ وفُضَيْلُ ابنِ عِيَاض (ت ١٨٧ هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠: ١٠).

نشأة الفقه الشافعي وعوامل انتشاره / د. أمجد رشيد  
نسخة غير نهائية تحت التصحيح والزيادة  
مُبَكَّرَةٌ بشهادة شَيْخِهِ، فَأَخْرَجَ الْخَطِيبُ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيَّ، يَقُولُ:  
«قال مسلم بن خالد الزنجي للشافعي: يا أبا عبد الله أفَتِ الناس، أَنْ لَكَ وَاللَّهِ أَنْ تُفْتِيَ، وَهُوَ ابْنُ دُونَ عَشْرِينَ  
سَنَةً»<sup>(١)</sup>.

رحلته إلى المدينة: ثم ارتحل إلى المدينة قاصداً الأخذَ عن أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه (٩٣-١٧٩ هـ)،  
قال الحافظ الذهبي: «وارتحل - وهو ابنُ نَيْفٍ وعشرين سنةً، وقد أفتى وتأهل للإمامة - إلى المدينة، فحمل عن  
مالك بن أنس «الموطأ»، عَرَضَهُ مِنْ حِفْظِهِ»<sup>(٢)</sup>. وقيل: كان سِنُّ الشافعي إِذْكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً<sup>(٣)</sup>. وقد أقام  
الشافعي بالمدينة يأخذُ عن مالكٍ إلى أن توفي رحمه الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

رحلته إلى اليمن: رحل إلى اليمن أولاً وولي عملاً، ثم رجع إلى مكة، ثم رحل إلى اليمن ثانياً متولياً قضاءً  
«نَجْرَانَ»، وَحَسُنَتْ سِيرَتُهُ هُنَاكَ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَقَدْ كَانَ فِيهَا بَارِعًا رَاشِدًا تَابِعًا لِلْحَقِّ رَحِمَهُ اللَّهُ»<sup>(٥)</sup>.  
وتعصب عليه بعض أهلها لعدله غيظاً وحسداً، وكذبوا عليه عند أمير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد، فأمر به  
فحمل إلى بغداد مثقلاً بالحديد مع جماعة<sup>(٦)</sup>.

رحلاته إلى بغداد: رحل الشافعي إلى بغداد ثلاث مراتٍ على النحو الآتي:

---

(١) «تاريخ بغداد» (٢: ٣٩٢). وساق قبل هذا خبراً عن الحميدي أن مسلماً بن خالد قال له ذلك وهو ابنُ خمس عشرة سنة. لكن  
قال الخطيب: «قلت: هكذا ذكر في هذه الحكاية عن الحميدي... وليس ذلك بمستقيم، لأن الحميدي كان يصغر عن إدراك  
الشافعي وله تلك السن، والصواب ما أخبرنا علي بن المحسن...». فساق ما ذكرته في المتن.

(٢) «السير» (١٠: ٦-٧).

(٣) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١: ١٠١) و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٤٧). قال الذهبي في «السير» (١٠: ١٢) بعد ذكر هذا  
القول: «وعن الشافعي قال: أتيت مالكا وأنا ابنُ ثلاث عشرة سنةً. كذا قال، والظاهر أنه كان ابنَ ثلاثٍ وعشرين سنةً».

(٤) «ترتيب المدارك» (٣: ١٧٧).

(٥) «طبقات الشافعيين» (ص.....).

(٦) «تاريخ دمشق» (.....) و«طبقات الشافعيين» (ص.....).

الرَّحْلَةُ الْأُولَى: سَنَةَ بَضْعٍ<sup>(١)</sup> وَثَمَانِينَ وَمِئَةً، وَصَرَّحَ ابْنُ كَثِيرٍ: بِأَنَّهَا كَانَتْ سَنَةً أَرْبَعَ وَثَمَانِينَ<sup>(٢)</sup>. وَذَلِكَ لَمَّا حُمِلَ إِلَيْهَا مِنَ الْيَمَنِ، وَكَانَ لَوُرُودِهِ بِغَدَادَ هَذِهِ الْمَرَّةِ سَبَبَانِ:

الْأَوَّلُ: مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ ظُلْمٍ أَوْلَئِكَ النَّفَرِ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ عَلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِ عَلَيْهِمْ<sup>(٣)</sup>.

الثَّانِي: أَنَّ نَائِبَ الْيَمَنِ كَتَبَ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ يَشْكُو إِلَيْهِ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ<sup>(٤)</sup>، وَكَانُوا يُنْسَبُونَ إِلَى التَّشْيِيعِ، وَأَدْمَجَ مَعَهُمُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَكَانَ قَدْ قَذَفَهُ بِذَلِكَ بَعْضُ الْجَهْلَةِ لِحَالِهِ وَإِمَامَتِهِ»<sup>(٥)</sup>.

وَلَمَّا اجْتَمَعَ بِهَارُونَ الرَّشِيدِ عَرَفَ هَارُونَ أَنَّهُ مَظْلُومٌ، كَمَا عَرَفَ قَدْرَهُ فِي الْعِلْمِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَأَيَّامَ الْعَرَبِ، فَعَفَى عَنْهُ وَأَكْرَمَهُ بِهَالٍ كَثِيرٍ، وَاجْتَمَعَ هُنَاكَ بِالْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ (١٣١-١٨٩هـ)، فَأَكْرَمَهُ، فَصَحَّبَهُ الشَّافِعِيُّ وَاسْتَنْسَخَ كُتُبَهُ وَقَرَأَهَا وَبَاحَثَهُ فِيهَا، وَارْتَقَى الْأَمْرُ مَعَهُ إِلَى الْمَنَظَرَةِ.

الرَّحْلَةُ الثَّانِيَّةُ: سَنَةَ (١٩٥هـ)، أَقَامَ بِهَا سَتَيْنِ، ثُمَّ رَجَعَ مَكَّةَ. وَفِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ ظَهَرَ نَجْمُ الشَّافِعِيِّ فِي الْعِرَاقِ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَكْبَرُ أَهْلِهَا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالرَّأْيِ، وَأَخَذُوا عَنْهُ.

الرَّحْلَةُ الثَّلَاثَةُ: سَنَةَ (١٩٨هـ)، أَقَامَ بِهَا أَشْهُرًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مِصْرَ<sup>(٦)</sup>.

رَحْلَتُهُ إِلَى مِصْرَ:

أَخْرَجَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ خَبْرًا جَرَتْ فِيهِ مَنَازَرَةٌ بَيْنَ الشَّافِعِيِّ وَشَيْخِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بِالرَّقَّةِ، وَجَدَ إِثْرَهَا مُحَمَّدٌ فِي نَفْسِهِ لَمَّا ضَاغَطَهُ فِيهَا الشَّافِعِيُّ، قَالَ الشَّافِعِيُّ: «ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَقُلْتُ لَغُلَامِي: اشْدُدْ عَلَى رَوَاحِلِكَ وَاجْعَلْ حِمْلًا. قَالَ: فَقَدِمْتُ مِصْرَ». قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ: «وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّافِعِيَّ دَخَلَ مِصْرَ مَرَّتَيْنِ:

(١) الْبَضْعُ: مِنْ أَرْبَعٍ إِلَى تِسْعٍ. «المصباح المنير» (ن و ف). وفي «مختار الصحاح» (ب ض ع): «مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التَّسْعِ، تَقُولُ: «بِضْعُ سَنِينَ وَبِضْعَةُ عَشْرِ رَجُلًا وَبِضْعُ عَشْرَةِ امْرَأَةٍ» فَإِذَا جَاوَزْتَ لَفْظَ الْعَشْرِ ذَهَبَ الْبِضْعُ، لَا تَقُولُ: بَضْعُ وَعَشْرُونَ».

(٢) «طبقات الشافعيين» (ص.....).

(٣) «طبقات الشافعيين» (ص.....).

(٤) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١: ١٠٦-١٠٧).

(٥) «طبقات الشافعيين» (ص ٣٩).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٥٠).

إحدى المرّتين على طريق الشام؛ فإنّ فيها أنه دخلها أيام هارون الرشيد، وتوفي هارون سنة ثلاث وتسعين ومئة. ودخلته الثانية مصر سنة تسع وتسعين ومئة، على ما ذكر حرمله بن يحيى، فأقام بها إلى أن مات، وأظنه في هذه الثانية ذهب إليها من مكة، فإن الحميدي صحبه<sup>(١)</sup>. لكن نظر الحافظ ابن كثير في زعم الحافظ ابن عساكر أنه دخل مصر مرّتين<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير بعد أن ذكر رحلات الشافعي إلى العراق: «ثم رجع إليها [أي: العراق] في سنة ثمان وتسعين، ثم حسن في رأيه المصير إلى الديار المصرية فسافر إليها على طريق الشام، ويقال: إنه اجتاز بـ«حران»، وأنه دخل بيت المقدس، وأما دمشق فلم أر أحدا ذكر أنه وردها، والحافظ أبو القاسم ابن عساكر مع تحريره وكثرة اطلاعه ترجم للشافعي رضي الله عنه في «التاريخ» لمُروره في الشام إلى الديار المصرية، ولم يقع له أنه دخل دمشق، وهذا عجيب»<sup>(٣)</sup>.

قدّم الإمام الشافعي مصر آخر سنة (١٩٩ هـ)<sup>(٤)</sup>، وكانت زاخرة بالأئمة من المحدثين والفقهاء وغيرهم، وكان

(١) «تاريخ دمشق» (٥١: ٢٧٠-٢٧١).

(٢) قال ابن كثير: «وإنما حمّله على هذا: ما رواه أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم: ثنا أبو بشر بن أحمد بن حماد في طريق مصر، ثنا أبو بكر بن إدريس، سمعت الحميدي، يقول: كان أحمد بن حنبل قد أقام عندنا بمكة على سفیان بن عيينة، فقال لي ذات يوم، أو ذات ليلة: هاهنا رجل من قريش له بيان ومعرفة، فقلت له: فمن هو؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي، وكان أحمد بن حنبل قد جالسه بالعراق، فلم يزل بي حتى اجترّني إليه، وكان الشافعي رضي الله عنه قبالة الميزاب، فجلّسنا إليه ودارت مسائل، فلما قمنا قال لي أحمد بن حنبل: كيف رأيت؟ فجعلت أتبع ما كان أخطأ فيه، وكان ذلك مني بالقرشية، يعني: معنى الحسد، وقال أحمد: فأنت لا ترضى أن يكون رجل من قريش تكون له هذه المعرفة وهذا البيان أو نحو هذا من القول، تمرّ منه مسألة يخطئ خمساً أو عشرًا، أثرك ما أخطأ، وخذ ما أصاب، قال: فكان كلامه وقع في قلبي، فجالسته فغلبتهم عليه، فلم يزل يُقدّم مجلس الشافعي رضي الله عنه، حتى كان لا يُقرب مجلس سُفيان، قال: وخرجت مع الشافعي إلى مصر، وكان هو شاركنّا في العلو ونحن في الأوسط، فربما خرجت في بعض الليل فأرى المصباح، فأصيح: يا غلام، فيسمع صوتي، فيقول: بحقي عليك ارق، فأرقي، فإذا قرطاس ودواة، فأقول فيه: يا أبا عبد الله [.....]، فيقول: تفكرت في معنى حديث أو مسألة، فخفت أن يذهب عليّ، فأمرت بالمصباح وكتبته».

(٣) المرجع السابق (٢: ٢٨٣).

(٤) قال الإمام النووي في «المجموع» (١: ٩): «قال أبو عبد الله حرمله بن يحيى: قدّم علينا الشافعي سنة تسع وتسعين. وقال الربيع: سنة مئتين. ولعله قدّم في آخر سنة تسع؛ جمعاً بين الروایتين».

نشأة الفقه الشافعي وعوامل انتشاره / د. أمجد رشيد

نسخة غير نهائية تحت التصحيح والزيادة

قد انتشر فيها أقوال الأئمة الكبار كأبي حنيفة ومالك، وهناك تابع الشافعي تكوين مدرسته الفقهية، وشيّد بنائها بتأليفه وكثرة الآخذين عنه.

## المبحث الثاني

## في مراحل تدوين المذهب وروايته

المطلب الأول: تدوين الإمام لأقواله، ورواية أصحابه وتدوينهم عنه.

ذكرت من قبل شدة إقبال الناس على مجالسة الإمام الشافعي والاستماع إليه والإفادة من علومه المتنوعة وحرصهم على تحصيل كتبه، سواء في ذلك أهل الحديث والفقهاء من العراقيين والمصريين، لذا فقد كثرت رواة مذهبه.

وكان للشافعي طريقتان في تدوين علومه؛ فتارة كان يباشر التأليف بنفسه، وتارة أخرى يُملي على أصحابه، فحصل له من ذلك شيء كثير في الفقه وأصوله وفنون الشريعة والعربية، حتى قال الإمام القاضي أبو محمد الحسين بن محمد المروزي: «قيل: إن الشافعي رحمه الله صنف مئة وثلاثة عشر كتاباً في التفسير والفقه والأدب وغير ذلك»<sup>(١)</sup>.

وقد مرّ تدوين الشافعي لمذهبه فقهاً وأصولاً، ورواية ذلك، بمرحلتين اثنتين، اصطلاح الشافعية على تسمية المرحلة الأولى منها بالقديم، والثانية بالجديد، وهذا طرف يشرح حال المرحلتين.

## المذهب القديم:

وهو: ما قاله قبل دخول مصر<sup>(٢)</sup>، وقد صنف فيه كتابين:

أحدهما في أصول الفقه، وهو «الرسالة» التي كتبها بطلب الإمام الحافظ عبد الرحمن بن مهدي، وتُعرف بـ«الرسالة القديمة أو العتيقة».

والثاني في الفقه، وهو المسمى بـ«الحجة»<sup>(٣)</sup>.

والسمة الغالبة على فقه الشافعي في العراق هي موافقة مذهب الإمام مالك ونصرته، يقول الإمام النووي نقلاً

(١) «المجموع» (١: ١١).

(٢) «تحفة المحتاج» (١: ٥٣). هذا ما اعتمده ابن حجر، قال الشرواني في «حاشية التحفة» (١: ٥٤): «قوله وهو: ما قاله قبل دخولها) شامل لما قاله في طريقها. سم. عبارة «المغني»: والقديم ما قاله الشافعي بالعراق تصنيفاً، وهو الحجة أو أفتى به...، وأما ما وجد بين مصر والعراق فالتأخرُ جديد، والمتقدم قديم».

(٣) «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ....).

عن الإمام أبي بكر القفال في «شرح التلخيص»: «أكثر مذهب الشافعي القديم مثل مذهب مالك رضي الله تعالى عنها»<sup>(١)</sup>.

وتتجلى نصرة الشافعي لمذهب مالك مناظرته المشهورة للإمام محمد بن الحسن الشيباني في رده على الإمام مالك وكتابه «الحجة على أهل المدينة».

وقد روى هذا المذهب القديم عن الشافعي أئمة من أصحابه في العراق، وأشهرهم:

الأول: الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، وقدره في العلم والدين معروف.

الثاني: الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني (ت ٢٥٩ هـ)، شيخ الفقهاء والمحدثين - كما قال الذهبي<sup>(٢)</sup> - وهو أتقنهم له رواية<sup>(٣)</sup>.

الثالث: أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي (ت ٢٤٠ هـ)، مفتي العراق - كما قال الذهبي<sup>(٤)</sup>.

الرابع: أبو علي الحسين بن علي الكرابيسي (٢٤٥ هـ)، فقيه بغداد كما قال الذهبي<sup>(٥)</sup>.

الخامس: أبو عبد الرحمن أحمد بن يحيى بن عبد العزيز البغدادي الشافعي المتكلم، كان حياً في حدود الثلاثين

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» (.....).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٢: ٢٦٢).

(٣) «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٤٨).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٢: ٧٢). قال الإمام النووي في ترجمة أبي ثور من «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢٠٠): «الإمام الجليل الجامع بين علمي الحديث والفقه، أحد الأئمة المجتهدين، والعلماء البارعين، والفقهاء المبرزين المتفقي على إمامته، وجلالته وتوثيقه وبراعته... وكان أولاً على مذهب أهل الرأي، فلما قدم الشافعي رضي الله عنه بغداد حضره أبو ثور، فرأى من علمه وفضله وحسن طريقته وجمعه بين الفقه والسنة ما صرّفه عما كان عليه، وردّه إلى طريقة الشافعي، ولازم الشافعي وصار من أعلام أصحابه، وهو أحد أصحاب الشافعي البغداديين الأئمة الجلالة رواة كتاب الشافعي القديم... ومع هذا الذي ذكرته من كون أبي ثور من أصحاب الشافعي وأحد تلامذته والمتفيعين به والآخذين عنه والناقلين كتابه وأقواله، فهو صاحب مذهب مستقل لا يعدّ تفرّده وجهاً في المذهب».

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٢: ٧٩). قال الإمام النووي في ترجمة الكرابيسي من «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢٨٣): «صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وأشهرهم بإثبات مجلسه، وأحفظهم لمذهبه... له تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه، وكان متكلماً، عارفاً بالحديث، وصنّف أيضاً في الجرح والتعديل وغيره، وأخذ عنه الفقه خلق كثير، ونُسب إلى الكرابيس، وهي الثياب الغلاظ، واحداً كِرْبَاس، بكسر الكاف، وهو لفظ فارسيّ مُعَرَّب؛ لأنه كان يبيعها فنُسب إليها»

نشأة الفقه الشافعي وعوامل انتشاره / د. أمجد رشيد

نسخة غير نهائية تحت التصحيح والزيادة

ومثني<sup>(١)</sup>. قال الشيخ أبو إسحاق: «وكان من كبار أصحابه [أي: الشافعي]، ثم صار من أصحاب ابن أبي دؤاد<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>. قال ابن كثير معقبًا على كلام الشيخ أبي إسحاق: «قلت: إنما صار إلى رأي أبي دؤاد في القول بخلق القرآن، فأما في الفروع فهو باقٍ على مذهب الإمام الشافعي»<sup>(٤)</sup>.

### المذهب الجديد:

وهو: ما قاله بعد دخول مصر<sup>(٥)</sup>. وقد صنف فيه جميع كتبه عدا ما ذكرنا من القديم. قال النووي: «وصنف كتبه الجديدة كلها بمصر»<sup>(٦)</sup>.

قال الربيع: «أقام الشافعي هاهنا أربع سنين، فأملى ألفًا وخمسمئة ورقة، وخرج كتاب «الأُم» ألفي ورقة، وكتاب «السُّنن»، وأشياء كثيرة، كلها في أربع سنين، وكان عليلاً شديد العلة، فكان ربما يخرج الدَّم منه وهو راكبٌ حتى تمتلئ سراويله ومركبه وخفه». انتهى<sup>(٧)</sup>.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٥٥٥).

(٢) هو القاضي الكبير أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد بن حريز الإيادي (١٦٠-٢٤٠هـ)، ولي قضاء القضاة للمعتصم، ثم للوائح، وكان موصوفًا بالجوهر والسَّخاء وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. انظر: «تاريخ بغداد» (٥: ٢٣٣) و«سير أعلام النبلاء» (١١: ١٦٩).

(٣) «طبقات الفقهاء» (ص ١٠٢).

(٤) «طبقات الشافعيين» (ص ١١٦). قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٥٥٥): «من كبار الأذكياء، ومن أعيان تلامذة أبي عبد الله الشافعي الإمام». وقال الإمام ابن عبد البر - كما في «اللسان الميزان» (٩: ١١٣) -: «كان يُعرف بالشافعي؛ لتحقيقه به ودَّبه عن مذهبه، صحبه ببغداد، وكان يُناظر على مذهبه. وكان من جلة العلماء وحذاق المتكلمين والعارفين بالإجماع والاختلاف. وكان رفيعًا عند السلطان وذوي الأقدار، عالمًا بالحديث والأثر، متسعًا في العلم، مع تمكُّن النظر والجدل والاعتدال على الكلام. وهو أول من خلف الشافعي بالعراق في الذَّبِّ عن أصوله ومذهبه والنُّصرة لقوله، حتى عُرف به، وكان أحد العشرة الذين اختارهم المأمون لمجلسه والكلام بحضرته وسماهم إخوانه. وله مصنفات كثيرة جدًا، توفي ببغداد.

قال زكريا الساجي: قلت لأبي داود: من أصحاب الشافعي؟ قال: الحميدي وأحمد والبويطي وعد جماعة ثم قال: ورجل ليس بالمحمود، أبو عبد الرحمن أحمد بن يحيى الذي يُقال له: الشافعي».

(٥) «تحفة المحتاج» (١: ٥٣).

(٦) «المجموع» (١: ٩).

(٧) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٢٩١).

نشأة الفقه الشافعي وعوامل انتشاره / د. أمجد رشيد  
وقال النووي: «وابتكر كتباً لم يسبق إليها منها: أصول الفقه، ومنها: كتاب القسامة وكتاب الجزية وقتال أهل  
البغي وغيرها»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام ابن حجر الهيتمي: «ومن الخوارق التي لم يقع نظيرها لمجتهد غيره: استنباطه وتحريره لمذهبه الجديد  
على سعة المفرطة في نحو أربع سنين»<sup>(٢)</sup>.  
أشهر رواة المذهب الجديد:

أولاً: أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي (ت ٢٣١هـ)، أكبر أصحاب الشافعي المصريين كما قال التاج  
السبكي، اختص بصحبته، وكان يعتمد البويطي في الفتيا ويحبل عليه إذا جاءته مسألة، وقد استخلفه على  
أصحابه بعد موته، فتخرجت على يديه أئمة تفرقوا في البلاد ونشروا علم الشافعي في الآفاق، كانت الفتاوى  
ترد عليه من السلطان فمن دونه، وهو متنوع في صنائع المعروف، كثير التلاوة لا يمر يومٌ وليلةٌ غالباً حتى  
يختم<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني (ت ٢٦٤هـ)، قال فيه الشافعي: «المزني ناصر مذهبي». وهو أكثر  
وأكبر من صنف في المذهب من أصحاب الشافعي، فصنف «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» و«المختصر»  
و«المنثور» و«المسائل المعتمدة» وغيرها<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: أبو محمد الربيع بن سليمان المرادي (١٧٤ - ٢٧٠هـ). قال البيهقي في وصفه: «الذي لا تعلم الرّحال  
تشد من شرق إلى غرب في طلب العلم - يعني في عصره - إلا إليه، وإنما يقصد القاصدون إليه؛ ليعرفوا مقالة  
الشافعي رضي الله عنه»<sup>(٥)</sup>. وكان رفيق البويطي<sup>(٦)</sup>، وقد كتب له يوماً: «أن اصبر نفسك للغرباء، وحسن

(١) «المجموع» (٩: ١).

(٢) «تحفة المحتاج» (١: ٥٣).

(٣) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ١٦٢). قال: «وقد سعى به من يحسده وكتب فيه إلى ابن أبي دؤاد بالعراق فكتب إلى والي مصر  
أن يمتحنه فامتحنه فلم يجب، وكان الوالي حسن الرأي فيه فقال له: قل فيما بيني وبينك. قال: إنه يقتدي بي مئة ألف ولا يدرون  
المعنى. فحمل إلى بغداد في أربعين رطل حديد».

(٤) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ٩٣).

(٥) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١: ٣٢٧).

(٦) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ١٦٣).

خُلِقَ لَأَهْلِ حَلَقَتِكَ؛ فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ أَسْمَعُ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ يُكْثِرُ أَنْ يَتِمَثَّلَ بِهَذَا الْبَيْتِ:

أَهَيْنُ لَهُمْ نَفْسِي لَكِي يُكْرَمُونَهَا<sup>(١)</sup> وَلَنْ تُكْرَمَ النَّفْسُ الَّتِي لَا تُهَيَّنُهَا<sup>(٢)</sup>

رابعًا: يُؤْنَسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدْفِيُّ (ت ١٧٠-٢٦٤هـ).

خامسًا: الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْحِزْرِيُّ (ت ٢٥٦هـ).

سادسًا: حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجَيْبِيُّ (١٦٦-٢٤٣هـ).

سابعًا: مُوسَى بْنُ أَبِي الْجَارُودِ أَبُو الْوَلِيدِ الْمَكِّيُّ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «رَأَوِي كِتَابَ الْأَمَالِي، وَغَيْرَهُ عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»<sup>(٣)</sup>. قَالَ التَّاجُ السَّبْكِ: «أَحَدُ الثَّقَاتِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَالْعُلَمَاءِ. قَالَ أَبُو عَاصِمٍ: يُرْجَعُ إِلَيْهِ عِنْدَ اخْتِلَافِ الرَّوَايَةِ»<sup>(٤)</sup>. رَوَى عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ وَأَبِي يَعْقُوبَ الْبُؤَيْطِيِّ، وَرَوَى عَنْهُ الزَّعْفَرَانِيُّ وَالرَّبِيعُ وَأَبُو حَاتِمٍ الرَّازِي. وَكَانَ فَقِيهًا جَلِيلًا أَقَامَ بِمَكَّةَ يَفْتِي النَّاسَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ<sup>(٥)</sup>. قَالَ الصَّلَاحُ الصَّفَدِيُّ: «كَانَ مِنَ الْقَيِّمِينَ بِمَذْهَبِهِ»<sup>(٦)</sup>.

وَمَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ عَلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ كَثْرَةُ كُتُبِهِ وَتَنَوُّعُهَا وَكثْرَةُ كُتُبِ أَصْحَابِهِ مِمَّا اخْتَصَرَهُ مِنْ كَلَامِهِ أَوْ جَمَعُوهُ لَهُ:

يَقُولُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي تَعْدَادِ مَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ عَلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ: «وَمِنْ ذَلِكَ: مُصَنَّفَاتُ الشَّافِعِيِّ فِي الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ الَّتِي لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا كَثْرَةً وَحُسْنًا؛ فَإِنَّ مُصَنَّفَاتِهِ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ كـ «الْأَمِّ» فِي نَحْوِ عَشْرِينَ مَجْلَدًا، وَهُوَ مَشْهُورٌ، وَ«جَامِعُ الْمُزْنِيِّ الْكَبِيرِ» وَ«جَامِعُ الصَّغِيرِ» وَمُخْتَصَرِيهِ «الْكَبِيرِ» وَ«الصَّغِيرِ»، وَ«مُخْتَصَرُ الْبُؤَيْطِيِّ» وَ«الرَّبِيعِ» وَ«كِتَابُ حَرْمَلَةَ» وَكِتَابُ «الْحَبَّةِ» وَهُوَ الْقَدِيمُ، وَ«الرِّسَالَةُ الْقَدِيمَةُ» وَ«الرِّسَالَةُ الْجَدِيدَةُ» وَ«الْأَمَالِي»

(١) المرجع السابق (٢: ١٦٥).

(٢) المرجع السابق (٢: ١٦٥).

(٣) «طبقات الشافعيين» (ص ١٥٨).

(٤) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ١٦١).

(٥) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ١٦١).

(٦) «الوافي بالوفيات» (٢٤: ٣١٣).

و«الإملاء» وغير ذلك، مما هو معلوم من كتبه، وقد جمعها البيهقي في «المناقب». انتهى<sup>(١)</sup>.

وكانت له رحمه الله همّة خارقة في التصنيف، يقول تلميذه الربيع بن سليمان: «أقام الشافعي هاهنا [يعني بمصر] أربع سنين، فأملأ ألفاً وخمسمئة ورقة، وخرّج كتاب «الأم» ألفي ورقة، وكتاب «السنن»، وأشياء كثيرة، كلّها في أربع سنين»<sup>(٢)</sup>.

وأهم ما صنّف في مصر أربعة كتب هي: «الأم» و«الإملاء» و«مختصر البويطي» و«مختصر المزني».

---

(١) المرجع السابق (١: ١١).

(٢) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٢٩١).

المطلب الثاني: توسُّع دائرة التأليف في المذهب.

المرحلة الأولى: شرح كلام الإمام والتفريع عليه والاستدلال له وتقرير قواعده.

وقد صُنِّفَتْ في هذه المرحلة كُتُبٌ كثيرةٌ كبار، وقد حاز «مختصرُ المُرْنِي» قَصَبَ السَّيْقِ بِتَوَجُّهِ عِدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الأئمة لِشَرْحه، من ذلك: شرحُ الإمام أبي إسحاق المَرْوَزِيِّ، وشرحُ الإمام علي بن أبي هريرة، وشرحُ الإمام أبي حامد المَرْوَزِيِّ، وتعليقُ الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وشرحُ الإمام أبي عبد الله المسعودي المَرْوَزِيِّ، وشرحُ الإمام القاضي أبي الطَّيِّب الطَّبْرِيِّ.

وظهرَ في هذه المرحلة تنوُّعُ التدوينِ في المذهب وشرحه إلى طريقتين:

الأولى: طريقةُ العراقيين، ويُقالُ لهم: البغداديون. وشيخُها الإمامُ الشيخُ أبو حامدٍ أحمد بنُ محمد الإسفراييني (٣٤٤-٤٠٦هـ).

والثانية: طريقةُ الخُرَّاسانيين، ويُقالُ لهم: النِّسَابُوريُّون والمَروَزة. وشيخُها الإمامُ أبو بكرٍ عبدُ الله بنُ أحمد القَفَّال المَرْوَزِي (٣٢٧-٤١٧هـ).

قال الإمامُ النووي: «واعلم أنَّ نقلَ أصحابنا العراقيين لنصوص الشافعي وقواعده مذهبه ووجوه متقدمي أصحابنا أثبتُّ وأثبتُّ من نقل الخراسانيين غالباً، والخراسانيون أحسنُ تصرُّفاً وبحثاً وتفريعاً وترتيباً غالباً»<sup>(١)</sup>.  
المرحلة الثانية: الجمعُ بين الطريقتين.

وأوَّلُ من تولَّى مؤنة ذلك هو الإمامُ الجليلُ الشيخُ أبو عليِّ الحسين بنُ شعيب بنِ محمد السَّنْجِي المَرْوَزِي (ت ٤٣٠هـ)، قال التاج السبكي: «فقيهُ العصر، وعالمُ خُرَّاسان، وأوَّلُ مَنْ جمع بين طريقتي العراق وخُرَّاسان».

تفقه على شيخ العراقيين الشيخ أبي حامد ببغداد، وعلى شيخ الخراسانيين أبي بكر القَفَّال بمرو، وهو أخصُّ به، وصنَّفَ «شرح المختصر» وهو الذي يُسمِّيه إمامُ الحرمين بـ«المذهب الكبير»<sup>(٢)</sup>.

جاء بعده إمامُ الحرمين أبو المعالي عبدُ الملك بنُ عبد الله الجُويني (٤١٩-٤٧٨هـ) فكتب كتابه «نهاية المطلب في دراية المذهب» شارحاً وجامعاً غالبَ مسائلِ المذهب من: «الأُم» و«الإملاء» و«مختصر البُويطي» و«مختصر

(١) «المجموع» (١: ٦٩).

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» (٤: ٣٤٤).

المُزني» وما عُلّقَ عليها من شُرُوح وغيرها، جاريًا فيه على أبواب مختصر المُزني، فحرّر فيه محاسن الطريقتين الخراسانيين والعراقيين، فوقع كتابه من أئمة المذهب موقعًا عظيمًا جليلًا<sup>(١)</sup>.

ثم جاء تلميذه حُجّة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) فاختصر «نهاية المطلب» في كتاب سَمَاهُ «البسيط»، ثم اختصر هذا في «الوسيط»، ثم اختصر هذا في «الوجيز»، محرّرًا في «الوجيز» تحريرًا بالغًا للأقوال والأوجه، ومختصرًا عيون مسائل المذهب وأصولها وعملها، فضلًا عن تعرّضه لاختلاف المذاهب الأخرى.

وله أيضًا «الخلاصة» وليس اختصارًا لـ «الوجيز» كما توهمه البعض، وإنما هو اختصارٌ لـ «مختصر المزي»، وقد أكرمني الله تعالى بتحقيق «الخلاصة» جميعها والتعليق عليها وتصحيح الخلاف فيها عن نسختين خطيتين، وهو مطبوع.

وكان في هذه المرحلة أئمة آخرون كثيرون برعوا في المذهب وصنّفوا فيه المصنّفات الرائقة، التي كان لها حضورٌ تامٌّ عند علماء المذهب في أعصارهم وما بعدها، ومن أشهرهم:

١ - الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي البصري (٣٦٤-٤٥٠هـ) في كتابه عظيم القدر «الحاوي شرح مختصر المزي».

٢ - والإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي البغدادي (٣٩٣-٤٧٦هـ) في كتابيه «التنبيه» و«المهذب».

٣ - والإمام عبد السيّد ابن الصّبّاغ البغدادي (٤٠٠-٤٧٧هـ) في كتابه «الشامل».

(١) يقول في ديباجته (١: ٤): «وسأجري على أبواب «المختصر» [أي: مختصر المزي] ومسائلها جُهدِي، ولا أعنتي بالكلام على ألفاظ السّواد، فقد تناهى في إيضاحها الأئمة الماضون، ولكنّي أنسبُ النصوص التي نقلها المزيّ إليه، وأعرّضُ لشرح ما يتعلّق بالفقه منها، إن شاء الله تعالى.

وما اشتهر فيه خلافُ الأصحاب ذكرته، وما ذكر فيه وجهٌ غريبٌ مُنقّاسٌ ذكّرتُ ندوره وانقياسه، وإن انضمتُ إلى ندوره ضعفُ القياسِ نبّهتُ عليه؛ بأن أذكر الصوابَ قائلًا: «المذهبُ كذا». فإن لم يكن له وجهٌ؛ قلتُ بعد ذكر الصواب: «وما سوى هذا غلط».

وإن ذكر أئمة الخلاف وجهًا مُرتبِكًا أنبّه عليه؛ بأن أقول: «اتَّفَقَ أئمة المذهب على كذا، فتجري وجوه من الاختصار، مع احتواء المذهب على المشهور والنادر».

وإن جرّت مسألة لم يبلّغني فيها مذهبُ الأئمة خَرَجْتُها على القواعد، وذكّرتُ مسالك الاحتمال فيها على مبلّغ فهمي»

٤- والإمام أبو سعد عبد الرحمن بن مأمون المتولي النيسابوري (٤٢٦-٤٧٨هـ) في كتابه «تتمة الإبانة» تم فيه كتاب شيخه الفوراني.

٥- والإمام أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني الطبري (٤١٥-٥٠٢هـ) في كتابه «بحر المذهب»، وهو من قال: لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي.

٦- والإمام محيي السنة الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦هـ) وقد جاوز الثمانين) في كتابه «التهذيب»، قال النووي في ترجمة القاضي حسين المروزي: «تفقه عليه جماعات من الأئمة، منهم صاحب «التتمة» و«التهذيب»، وكتابهما في التحقيق مختصر وتهذيب لـ «تعليقه»»<sup>(١)</sup>.

المرحلة الثالثة: ضبط المذهب وتحرير معتمده من الأقوال والأوجه.

وقد تحمل أعباء هذه المرحلة الشيخان الجليلان الإمامان: أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي (٥٥٧-٦٢٣هـ) ومحيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١-٦٧٦هـ)، وصار إطلاق لقب «الشيخين» في المذهب علماً عليهما، فصنفاً كتباً عظيمة الشأن في تحرير المذهب وضبط طرقه وما حوته من أقوال للإمام وأوجه أصحابه، وتحقيق ثبوت ذلك من عدمه، مع التصحيح والتزييف، وبيان مبنى الفروع، والتنبيه على الاختلاف بين العراقيين والحراسانيين، وما يتفرع على اختلافهم.

وجاءت هذه المرحلة متممة لعمل إمام الحرمين الجويني وتلميذه الغزالي ونحوهما حيث استوعب الشيخان غالباً مراجعة كتب الشافعي والأصحاب المتقدمين والمتأخرين؛ فصنف الرافعي شرحين على «الوجيز» للغزالي؛ الأول: شرح صغير، ولم يسمه، والثاني: شرح كبير سماه «العزیز»، وزاد على تسميته بعضهم فقال: «فتح العزيز»، وصار يشتهر الكتاب لجلالته بين المتأخرين بـ: «الشرح الكبير» أو «الشرح» أو «الكبير» أو «الرافعي».

ثم قام النووي باختصار «العزیز» في كتاب سماه «روضة الطالبين وعمدة المفتين»، كما صنف أيضاً: «المجموع شرح المذهب» و«التحقيق» و«التنقيح» و«منهاج الطالبين وعمدة المفتين» ناهياً في جميعها إلى التحرير والترجيح وبيان ما هو معتمد المذهب بحسب نصوص الشافعي وقواعد مذهبه وكلام أصحابه.

وبيّن الإمام ابن حجر الهيتمي: أن تقديم كتاب «المنهاج» على بقية كتب النووي ليس على إطلاقه، بل الغالب تقديم ما هو متبع فيه كـ «التحقيق» فـ «المجموع» فـ «التنقيح» ثم ما هو مختصر فيه كـ «الروضة» فـ «المنهاج» ونحو

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ١٦٤-١٦٥).

نشأة الفقه الشافعي وعوامل انتشاره / د. أمجد رشيد  
نسخة غير نهائية تحت التصحيح والزيادة  
«فتاواه» فـ«شرح مسلم» فـ«تصحيح التنبيه»، و«نُكُتُهُ» من أوائل تأليفه فهي مؤخرَةٌ عما ذُكِر. قال: «وهذا تقريبٌ، وإلا فالواجبُ في الحقيقة عندَ تعارض هذه الكتب مراجعةُ كلام معتمَدي المتأخرين واتباع ما رجَّحوه منها»<sup>(١)</sup>.

#### المرحلة الرابعة: شرحُ كَلَامِ الشَّيْخَيْنِ «الرَّافِعِيِّ النَّوَوِيِّ».

وفي هذه المرحلة اعتكفَ النَّاسُ على شرح كلام الشَّيْخَيْنِ وزيادة التحقيق في ضَبْطِهِ وَنَقْلِهِ والتفريع عليه، فكتبوا كثيرًا على «رَوْضَةِ الطَّالِبِينَ» ما بينَ تحشية واختصارٍ وتَعَقُّبات. كما اشتهرَ كتابُ «منهاج الطالبين» للنَّوَوِيِّ، فصارَ لدى أئمتنا كَعْبَةٌ تُقَصَّدُ بالقراءة والحفظِ والشرح والاختصار؛ فتوالَت عليه جهودُ أئمتنا المتأخرين اختصارًا وشرحًا وَتَحْشِيَةً، وبادرَ طلابُ العلم والعلماء إلى حِفْظِهِ، واعتكفوا على دراسةِ مسائلِهِ.

وكان من أهمِّ شروحه المشهورة بين أيدي الناس اليوم:

- ١ - «كنز الراغبين في شرح منهاج الطالبين» للإمام المحقق محمد بن أحمد المَحَلِّي (٧٩١-٨٦٤هـ).
  - ٢ - «مغني المحتاج في حلِّ ألفاظ المنهاج» لشمس الدِّين الخطيب محمد بن أحمد الشَّرِينِي (ت ٩٧٧هـ).
  - ٣ - «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» لخاتمة المحققين شهاب الدِّين أحمد بن حَجَر الهَيْتَمِيِّ (٩٠٩-٩٧٤هـ).
  - ٤ - «نهاية المحتاج» للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الرَّمْلِي (٩١٩-١٠٠٤هـ).
- وقد أوَّلَى المتأخرون أهميةً خاصَّةً بهذه الشروح، بالأخصَّ «تحفة المحتاج»؛ لِما جمعتُ من التحريرات والتحقيقات، فسَهَّلْتُ عليهم الوقوفَ على المعتمَدِ مِنَ المتقدِّم، مع استقصائها غالبًا للشروطِ والمعتبراتِ والضوابطِ والعِللِ بعباراتٍ دقيقة، فكتبوا عليها الكثيرَ مِنَ الحواشي والتقريرات.
- ولـ«منهاج الطالبين» اختصارٌ بديع عمله شيخُ الإسلام زكريا الأنصاري، حذفَ منه الخلاف، ورتَّبه، وأبرز فيه التقسيمات، وزاد عليه زيادات، ثمَّ شرحه شرحًا محققًا مدللًا معلَّلًا، وسَمَّاه «فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب»، وكُتِبَت عليه حواشٍ كثيرة من أشهرها: حاشية الشيخ سليمان الجمل، وحاشية الشيخ سليمان البَجِيرَمِيِّ.

(١) «تحفة المحتاج» (١: ٣٩).

### المبحث الثالث

#### عوامل انتشار المذهب الشافعي في القرن الثالث الهجري

المطلب الأول: العوامل الخاصة بالإمام الشافعي.

العامل الأول: التكوين العلمي.

تميز الشافعي بتكوينه العلمي الذي كان نموذجاً فريداً بين أقرانه، بل وكثير من مشايخه وأهل عصره والسابقين عليه واللاحقين، وذلك من أربع جهات:

الجهة الأولى: إحاظته بالعربية وفنونها، حتى بلغ فيها الغاية القصوى، وصار حجة فيها لا يختلف عليه الناس في ذلك.

قال الشافعي: «خَرَجْتُ مِنْ مَكَّةَ فَلَزِمْتُ هَذِيلاً فِي الْبَادِيَةِ أَتَعَلَّمُ كَلَامَهَا وَأَخْذُ طَبْعَهَا، وَكَانَتْ أَفْصَحَ الْعَرَبِ، فَبَقِيتُ فِيهِمْ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً أَرْتَحِلُ بِرِحْلَتِهِمْ وَأَنْزِلُ بِنَزْوِهِمْ، فَلَمَّا أَنْ رَجَعْتُ إِلَى مَكَّةَ جَعَلْتُ أَنْشُدُ الْأَشْعَارَ وَأَذْكُرُ الْأَدَبَ وَالْأَخْبَارَ وَأَيَّامَ الْعَرَبِ»<sup>(١)</sup>.

ولما سُئِلَ الشافعي عن سبب إقامته في علم العربية وأيام الناس نحو عشرين سنة: «مَا أَرَدْتُ بِهِ إِلَّا الْإِسْتِعَانَةَ عَلَى الْفَقْهِ»<sup>(٢)</sup>.

قلت: كم يظهر هذا النص من فهم الشافعي لطبيعة الاجتهاد في نصوص الشريعة، ويبقى الضوء على جانب عناية الشافعي بالتخطيط لمستقبله العلمي.

يقول الإمام عبد الملك بن هشام البصري نزيل مصر إمام النحو والأخبار صاحب المغازي (ت ٢١٣هـ): «الشافعي حجة في اللغة». وكان إذا شك في شيء من اللغة بعث إلى الشافعي فسأله عنه. وقال إمام العربية أبو عثمان بكر بن محمد المازني البصري (ت ٢٤٩هـ): «الشافعي عندنا حجة في النحو». وقال أبو سعيد عبد الملك الأصبغي البصري حجة الأدب ولسان العرب - كما قال الذهبي - (١٢٢-٢١٦هـ): «صَحَّحْتُ أَشْعَارَ الْهَذَلِيِّينَ عَلَى شَابٍّ مِنْ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسٍ»<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق (٥١: ٢٨٥).

(٢) «ترتيب المدارك» (٣: ١٨٤).

(٣) انظر ما يتعلق بأخبار الشافعي في العربية في: «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٤٩-٥٠).

الجهة الثانية: إحاطته بأعظم دليلين شرعيين حفظاً وعِلماً - هما الكتاب والسنة -

حَفِظَ الشَّافِعِيُّ الْقُرْآنَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، وَحَفِظَ «الْمَوْطَأَ» لِلْإِمَامِ مَالِكٍ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَقَرَأَهُ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ الْحَدِيثَ عَنْ أئِمَّةِ الْحِفَاظِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ كَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَمْصَارِ الَّتِي دَخَلَهَا.

يقول الإمام أحمد بن حنبل في حق الشافعي: «كَانَ أَفْقَهُ النَّاسِ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا كَانَ يَكْفِيهِ قَلِيلُ الطَّلَبِ فِي الْحَدِيثِ»<sup>(١)</sup>. وقال: «صَاحِبُ حَدِيثٍ لَا يَشْبَعُ مِنْ كُتُبِ الشَّافِعِيِّ»<sup>(٢)</sup>. وقال: «مَا كَانَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ يَعْرِفُونَ مَعَانِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَدِمَ الشَّافِعِيُّ فَبَيَّنَهَا لَهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

وقال الحسين بن علي الكرابيسي<sup>(٤)</sup> تلميذ الشافعي: «رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى الشَّافِعِيِّ مَا فَهِمْنَا اسْتِنْبَاطَ أَكْثَرِ السُّنَنِ إِلَّا بِتَعْلِيمِ الشَّافِعِيِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ إِيَّانَا»<sup>(٥)</sup>. ويقول إمام الأئمة في الحديث أبو بكر ابن خزيمة - تلميذ الإمام المزي - صاحب الإمام الشافعي - يُسأل عن الشافعي: «هَلْ تَعَلَّمَ سُنَّةً صَحِيحَةً لَمْ يُودِعْهَا الشَّافِعِيُّ كِتَبَهُ؟ قَالَ: لَا»<sup>(٦)</sup>.

يقول الإمام النووي: «هُوَ الْمَبْرُزُ فِي الاسْتِنْبَاطِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، الْبَارِعُ فِي مَعْرِفَةِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، وَالْمَجْمَلِ وَالْمَيَّنِّ، وَالْخَاصِّ وَالْعَامِّ، وَغَيْرِهَا مِنْ تَقَاسِيمِ الْخُطَابِ، فَلَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إِلَى فَتْحِ هَذَا الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ أَصُولَ الْفَقْهِ بِإِلَّاخْتِلَافٍ وَلَا ارْتِيَابٍ، وَهُوَ الَّذِي لَا يُسَاوَى، بَلْ لَا يُدَانِي فِي مَعْرِفَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَرَدَّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»<sup>(٧)</sup>.

وكان قُتَيْبَةُ يَقُولُ: يَمُوتُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَتُظْهِرُ الْبِدْعَ، وَمَاتَ الشَّافِعِيُّ فَمَاتَتِ السُّنَنُ، وَمَاتَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ فَمَاتَ

(١) «آداب الشافعي ومناقبه» لابن أبي حاتم الرازي (ص ٤٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٥٧).

(٣) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١: ٣٠١).

(٤) انظر ترجمته (ص ٧٠ - ٧١).

(٥) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١: ٣٠١).

(٦) «المجموع» للإمام النووي (١: ١٠).

(٧) «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٤٩).

الورع<sup>(١)</sup>.

الجهة الثالث: انفراده عن سائر الأئمة بتشديد بُنيان التأليف في «علم أصول الفقه»، والإشارة والتّصريح إلى كُنُوزِه ومَكُونَاتِه:

بحيث صار هدايةً لجميع ما وُضِعَ بعد ذلك من مؤلّفاتٍ في هذا الفنّ. يقول الإمام النووي في الشّافعي: «إنه أول من صَنَّفَ أصولَ الفقه بلا اختلافٍ ولا ارتياب»<sup>(٢)</sup>.

ومن شدّة تأثير الشّافعي بأهل الحديث ورؤيتهم أنّ عنده ما ليس عندهم طلب منه إمام أهل الحديث في عصره عبد الرحمن بن مَهْدِيّ أن يُصنّف كتاباً في أصول الفقه، قال الإمام أبو ثور: «كتب عبد الرحمن ابن مَهْدِيّ [البَصْرِيّ (١٣٥-١٩٨هـ)] إلى الشّافعي - وهو شابٌ - أن يضع له كتاباً: فيه معاني القرآن، ويجمع<sup>(٣)</sup> قبول الأخبار فيه، وحُجّة الإجماع، وبيان النّاسخ والمنسوخ من القرآن والسُّنة. فَوَضَعَ له كتاب «الرّسالة». قال عبد الرحمن بن مَهْدِيّ: «ما أصبَحَ صلاةً إلّا وأدعو للشّافعيّ فيها». انتهى<sup>(٤)</sup>.

قال القاضي عياض المالكيّ: «وللشافعيّ في تقرير الأصول، وتمهيد القواعد، وترتيب الأدلة والمآخذ، وبسطه ذلك، ما لم يسبقه إليه من قبله، وكان فيه عليه عيلاً كلّ من جاء بعده، مع التّفنّن في علم لسان العرب والقيام بالخبر والنّسب، وكلّ مُيسّرٍ لِمَا خُلِقَ له»<sup>(٥)</sup>.

الجهة الرابعة: استقصاؤه لعلوم المدارس الفقهية المشتهرة في زمانه.

وهي: «مدرسة أهل الحجاز» مكة المكرمة والمدينة المنورة، و«مدرسة العراق» الكوفة وبغداد، و«مدرسة اليمن»، و«مدرسة الشام»، و«مدرسة مصر»، فهذه هي أقاليم الإسلام التي اشتهرت فيها المدارس الفقهية إلى عصر الإمام الشّافعيّ، وكان أئمة تلك الأمصار هم المتبوعين في الفقه.

(١) «تاريخ دمشق» (٥: ٢٧٧).

(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٤٩).

(٣) ذلك الكتاب.

(٤) «مناقب الشّافعيّ» للبيهقي (١: ٢٣٠).

(٥) «ترتيب المدارك» (١: ٨٦).

نشأة الفقه الشافعي وعوامل انتشاره / د. أحمد رشيد

نسخة غير نهائية تحت التصحيح والزيادة

وقد حقق الله تعالى للشافعي الإحاطة بعلوم أئمة تلك الأمصار إما بطريق الاتصال المباشر مع بعضهم، وإما من طريق تلامذتهم وكتبهم المدونة عنهم.

ففي مكة: أخذ عن أكابر مشايخها، وعلى رأسهم مفتيها: مسلم بن خالد الزنجي، والمتصل إسناده الفقهي بابن عباس وغيره من الصحابة رضي الله عنه من طريق شيخ الحرم التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح وغيره. وفي المدينة: تلقى عن رأسها وسيّد علمائها مالك بن أنس، فقرأ عليه «الموطأ»، وانتسب إلى طريقه في الفقه، وأكثر الشافعي الثناء عليه والتبجح به، وكان يقول: «جعلت مالكا حجة بيني وبين الله تعالى».

وفي اليمن: أخذ عن طائفة بها<sup>(١)</sup>، ومنهم أكابر قضاتها: مطرف بن مازن (ت ١٩١ هـ)<sup>(٢)</sup>، وهشام بن يوسف الصنعائي (ت ١٩٧ هـ)، قال الذهبي: قاضي صنعاء وعالمها<sup>(٣)</sup>. وقال أيضا: «الإمام الثبّت قاضي صنعاء اليمن وفقهها»<sup>(٤)</sup>.

وفي العراق: صحب شيخها وشيخ أهل الرأي وفقهاء العراق محمد بن الحسن الشيباني، تلميذ أبي حنيفة ومُدوّن فقهه، وتشبّع الشافعي من علم محمد بن الحسن وفقه أهل العراق، بالاستماع إلى محمد، واستنساخ كتبه وقراءتها والكتابة عليها، ومناظرته ومناظرة أتباعه. يقول أحمد بن أبي سريج: سمعت الشافعي يقول: قد أنفقت على كُتب محمد ستين دينارًا، ثم تدبرتها، فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثًا - يعني: ردّ عليه -<sup>(٥)</sup>. وقال: «كتبته عنه [أي: محمد بن الحسن] وقرّ بختي»<sup>(٦)</sup>، وما ناظرت سمينًا أذكى منه، ولو أشاء أن أقول: نزل القرآن بلغة محمد ابن الحسن، لقلت؛ لفصاحته»<sup>(٧)</sup>.

كما اجتمع على الشافعي أكابر أهل الحديث في العراق، ولا شك أنه أفاد منهم كما استفادوا هم منه.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٧).

(٢) انظر ترجمته وتحقيق سنة وفاته في: «وفيات الأعيان» (٥: ٢٠٩-٢١١).

(٣) «تاريخ الإسلام» (٤: ١٢٢٧).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٩: ٥٨٠).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ١٥).

(٦) الوقر - بكسر الواو - حمل البغل أو الحمار، ويُستعمل في البعير. والبُخت: نوع من الإبل. انظر: «المصباح المنير» (وقر) و (ب) خ ت.

(٧) «سير أعلام النبلاء» (٩: ١٣٥).

وفي مصر:

اجتمع ببعض أصحاب الأوزاعي، وذلك أنه زار «تنيس» شمالي القاهرة، فأخذ عن الإمام الحافظ أبي حفص عمرو بن أبي سلمة التنيسي (ت ٢١٤هـ)، وهو دمشقي سكن تنيس، حدث عن الأوزاعي، وحديثه في الكتب الستة، وكان يختار من قول مالك والأوزاعي، فأخذ عنه الشافعي<sup>(١)</sup>.

وأخذ كذلك بـ«تنيس» عن الإمام الحافظ القدوة أبي زكريا يحيى بن حسان البكري البصري (٢٠٨هـ)<sup>(٢)</sup>. وقد مات الشافعي قبلهما.

وكذلك اطلع بمصر على فقه الليث بن سعد (٩٤-١٧٥هـ): فقد جلس إلى الشافعي وسمع منه كاتب الليث بن سعد، وهو الإمام المحدث شيخ المصري أبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهنني المصري (١٣٧-٢٢٠هـ)<sup>(٣)</sup>، وهو أسن من الشافعي، قال الذهبي: «لأزم الليث، فأكثر عنه، وحمل عنه تصانيفه، وكان كاتباً له على أمواله»<sup>(٤)</sup>.

وقد روى الساجي قال: حدثني أحمد بن مردك الرازي، سمعت عبد الله بن صالح صاحب الليث يقول: كنا عند الشافعي في مجلسه، فجعل يتكلم في تثبيت خبر الواحد عن النبي ﷺ فكتبناه، وذهبنا به إلى إبراهيم بن علية، وكان من غلمان أبي بكر الأصم، وكان في مجلسه عند باب الصوفي، فلما قرأنا عليه جعل يحتج بإبطاله، فكتبنا ما قال، وذهبنا به إلى الشافعي، فنقصه، وتكلم بإبطاله، ثم كتبناه، وجئنا به إلى ابن علية، فنقصه، ثم جئنا به إلى الشافعي، فقال: إن ابن علية ضال، قد جلس بباب الضوال يضل الناس<sup>(٥)</sup>.

قال الذهبي معلقاً: كان إبراهيم من كبار الجهمية، وأبوه إسماعيل شيخ المحدثين، إمام.

ومما يؤكد اطلاع الشافعي على فقه الليث وتبصره به ووقوفه على طريقته: ما روى يونس بن عبد الأعلى قال:

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٢١٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٢١٣).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٤٠٥).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٤٠٦).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٢٣-٢٤).

سمعتُ الشافعيَّ يقول: ما فاتني أحدٌ كان أشدَّ عليَّ من اللَّيْث وابن أبي ذئب، واللَّيْثُ أَتْبَعُ لِلْأَثَرِ مِنْ مَالِكٍ<sup>(١)</sup>. وعن إبراهيم بن إسحاق السَّمَرْقَنْدِيِّ بِمِصْرَ قال: سمعتُ أبا عُبَيْدِ اللَّهِ بنَ أَخِي بنِ وَهْبٍ<sup>(٢)</sup> قال: سمعتُ الشافعيَّ يقول: اللَّيْثُ أَفْقَهُ مِنْ مَالِكٍ، إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَهُ لَمْ يَقُومُوا بِهِ<sup>(٣)</sup>.

قلت: لَا يَحْكُمُ بِمِثْلِ ذَلِكَ بِمَجَرَّدِ اطِّلاع، بَلْ بِفَحْصٍ فِي فِقْهِهِ، فَهُوَ بِهِ بَصِيرٌ.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا يُونُسُ<sup>(٤)</sup>، قُلْتُ لِلشَّافِعِيِّ: صَاحِبُنَا اللَّيْثُ يَقُولُ: لَوْ رَأَيْتُ صَاحِبَ هَوًى يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ، مَا قَبَلْتُهُ. قَالَ: قَصَّرَ، لَوْ رَأَيْتُهُ يَمْشِي فِي الْهَوَاءِ، لَمَا قَبَلْتُهُ<sup>(٥)</sup>.

وَلَا شَكَّ أَنَّ تَحْصِيلَ الشَّافِعِيِّ لِعُلُومِ مَنْ سَبَقَهُ، وَوُقُوفَهُ عَلَى دَقِيقِ أَنْظَارِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ فِي التَّفَقُّهِ أَوْرَثَهُ قُدْرَةً تَامَّةً عَلَى التَّصَرُّفِ فِي الْفِقْهِ بِمَا لَمْ يَتَصَرَّفْ بِهِ غَيْرُهُ، فَتَفَرَّدَ بِطَرِيقَةِ تَخْصُّصِهِ لَا يَسْتَطِيعُ صَاحِبُ مَدْرَسَةٍ سَلَفَتِهِ نَسْبَتَهُ خَالِصًا لَهَا، وَهَذَا مَا أَبَيَّنَّهُ فِي الْعَامِلِ الثَّالِثِ.

### العامل الثاني: مُنَاطَرَاتُهُ الْفَقْهِيَّةُ وَغَيْرُهَا.

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنَاطِرَ الشَّافِعِيِّ لِمُعَاصِرِيهِ سَوَاءٌ مَنِ كَانَ يَكْبُرُهُ كَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ أَوْ كَانَ مِثْلَهُ أَوْ أَقَلَّ مِنْهُ؛ لَا شَكَّ أَنَّهَا رَوَّجَتْ لِلشَّافِعِيِّ فِي سُوقِ الْعِلْمِ، وَحَصَّلَتْ لَدَيْهِ حَصِيلَةً عِلْمِيَّةً بِمَذَاهِبِ مُعَاصِرِيهِ وَمَنْ قَبْلَهُمْ، وَزَادَتْهُ تَحْقِيقًا فِي ذَلِكَ، وَرَغَّبَتْ طَوَائِفَ مِنَ النَّاسِ بِاتِّبَاعِهِ وَسُلُوكِ طَرِيقِهِ وَتَرْكِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَذَاهِبِ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ تَأْثُرُ النَّاسِ بِالشَّافِعِيِّ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ، بَلْ تَجَاوَزَ إِلَى أَهْلِ الرَّأْيِ وَأَصْحَابِ مَالِكٍ وَاللَّيْثِ وَغَيْرِهِمْ.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٨٧).

(٢) هو أحمد بن عبد الرحمن بن وهب كما في «السَّيَر» (٨: ١٥٦).

(٣) «تاريخ دمشق» (٥٠: ٣٥٨) و«سير أعلام النبلاء» (٨: ١٥٦).

(٤) هو ابنُ عبد الأعلى الصَّدْفِي تَلْمِيزُ الشَّافِعِيِّ، فَهُوَ شَيْخُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، وَلَمْ يَحْضُرْ يُونُسُ اللَّيْثُ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ عَنِ بَقُولِهِ «صَاحِبُنَا»: أَنَّهُ شَيْخُ دِيَارِهِمُ الْمِصْرِيَّةِ.

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٢٣).

نشأة الفقه الشافعي وعوامل انتشاره / د. أمجد رشيد

نسخة غير نهائية تحت التصحيح والزيادة

وهذا بسبب ما أعطاه الله إياه من فصاحة اللسان وطلاقة فيه، وسعة علمه في اللغة والقرآن والسنة، وذكاؤه في النظر، وقوة الحجة، وإحاطته بعلوم من يُناظر. وكأنه يصف نفسه فيما سأله عنه صاحبه الربيع فقال: قلت للشافعي، من أقدّر الفقهاء على المناظرة؟ فقال: «من عودَ لسانه الرّكّص في ميدان الألفاظ، ولم يتلّعثم إذا رمقته العيون بالألحاظ»<sup>(١)</sup>.

يقول أبو الوليد بن أبي الجارود: ما رأيت أحداً إلا وكتبه أكثر من مشاهدته إلا الشافعي، فإن لسانه كان أكثر من كتابه<sup>(٢)</sup>.

ويقول هارون بن سعيد الأيلي: لو أن الشافعي ناظر على هذا العمود الذي من حجارة أنه من خشب لغلب؛ لاقتداره على المناظرة<sup>(٣)</sup>.

ما بين مكة والعراق: يقول الإمام أحمد بن حنبل: «كانت أقفيتنا»<sup>(٤)</sup> - أصحاب الحديث - في أيدي أصحاب أبي حنيفة ما تُنزع<sup>(٥)</sup>، حتى رأينا الشافعي رضي الله عنه، وكان أفقه الناس في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسول الله ﷺ، ما كان يكفيه قليل الطلب في الحديث<sup>(٦)</sup>. وقال: «كان الفقه قفلاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي»<sup>(٧)</sup>. وقال الإمام عبد الله بن الزبير الحميدي شيخ مكة: «كنا نريد أن نردّ على أهل الرأي فلا نحسن، حتى جاءنا الشافعي ففتح لنا»<sup>(٨)</sup>. وهذا نموذج أحكيه عن أبي ثور:

(١) «تاريخ دمشق» (٥١: ٤١٠).

(٢) «تاريخ بغداد» (٢: ٤٠٨).

(٣) «تاريخ بغداد» (٢: ٤٠٨).

(٤) الأقفية جمع قفا، وهو مؤخر العنق. «مختار الصحاح» (ق ف ا). والمراد أن أصحاب أبي حنيفة كانوا متمكنين من أصحاب الحديث في الفقه والاستدلال، لا يجارونهم فيه.

(٥) المراد أن أصحاب أبي حنيفة كانوا متمكنين من أصحاب الحديث في الفقه والاستدلال، لا يقدر أصحاب الحديث على مجاراتهم فيه.

(٦) «آداب الشافعي ومناقبه» لابن أبي حاتم الرازي (ص ٤٢).

(٧) «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٦١).

(٨) المرجع السابق (١: ٦٢).

عن بدر بن مجاهد قال: قال لي سليمان الشاذكوني: اكتب رأي الشافعي، واخرج إلى أبي ثور فكتب عنه؛ فإنه مذهب أصحابنا الذي كنا نعرفه، وامض إلى أبي ثور لا يفوتك بنفسه<sup>(١)</sup>.

قال الخطيب البغدادي معلّقاً على هذا: كان أبو ثور أولاً يتفقه بالرأي، ويذهب إلى قول أهل العراق، حتى قدم الشافعي بغداد، فاختلف أبو ثور إليه، ورَجَعَ عن الرأي إلى الحديث<sup>(٢)</sup>.

ثم روى الخطيب عن أبي عثمان الخوارزمي نزيل مكة قال: قال أبو ثور: كنت أنا وإسحاق بن راهويه وحسين الكرابيسي - وذكر جماعة من العراقيين - ما تركنا بدعتنا حتى رأينا الشافعي. قال: لما ورد الشافعي العراق جاءني حسين الكرابيسي، وكان يختلف معي إلى أصحاب الرأي، فقال: قد ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه، فقم بنا نسخر به، فقمّت وذهبتنا حتى دخلنا عليه، فسأله الحسين عن مسألة فلم يزل الشافعي يقول: قال الله وقال رسول الله ﷺ حتى أظلم علينا البيت، فتركنا بدعتنا، واتبعناه.

وقال أبو ثور: كنت من أصحاب محمد بن الحسن، فلما قدم الشافعي علينا جئت إلى مجلسه شبه المستهزئ، فسألته عن مسألة من الدّور<sup>(٣)</sup> فلم يجبني، وقال: كيف ترفع يديك في الصلاة؟ فقلت هكذا، فقال: أخطأت! فقلت هكذا، فقال: أخطأت! قلت فكيف أصنع؟، قال: حدثني سفيان عن الزهري عن سالم عن أبيه أنّ النبي ﷺ: «كان يرفع يديه بحذو منكبيه، وإذا ركع، وإذا رفع».

قال أبو ثور: فوقع في قلبي من ذلك، فجعلت أزيد في المجيء وأقصر من الاختلاف إلى محمد بن الحسن، فقال لي محمد يوماً: يا أبا ثور أحسب هذا الحجازي قد غلب عليك، قال: قلت: أجل، الحق معه، قال: وكيف

(١) «تاريخ بغداد» (٦: ٥٧٦).

(٢) «تاريخ بغداد» (٦: ٥٧٦).

(٣) قال السيوطي في «الأشباه والنظائر» (ص ٣٨٠): «مسائل الدّور هي: التي يدور تصحيح القول فيها إلى إفساده وإثباته إلى نفيه. وهي: حكمي ولفظي».

فالأول: ما نشأ الدّور فيه من حكم الشرع.

والثاني: ما نشأ من لفظة يذكرها الشخص.

وأكثر ما يقع الدّور في مسائل الوصايا والعق ونحوها.

وقد أفرد فيها الأستاذ أبو منصور البغدادي كتاباً حافلاً، وأفرد كتاباً فيها وقع منه في سائر الأبواب. انتهى. ثم أورد من ذلك مسائل.

ذلك؟ قال: قلت: كيف ترفع يديك في الصلاة؟ فأجابني على نحو ما أخبرت الشافعي، فقلت: أخطأت، فقال: كيف أصنع؟ قلت حدثني الشافعي عن سفيان عن الزهري عن سالم عن أبيه: أن النبي ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه وإذا ركع وإذا رفع.

قال أبو ثور: فلما كان بعد شهر وعلم الشافعي أني قد لزمته للتعلّم منه، قال: يا أبا ثور، خذ مسألتك في الدّور، فإنها منعني أن أجيبك يومئذ؛ لأنك كنت متعتنا<sup>(١)</sup>.

ومثل أبي ثور كثير من علماء العراق: يقول أبو الفضل الزجاج: لما قدم الشافعي إلى بغداد، وكان في الجامع إما نيف وأربعون حلقة أو خمسون حلقة، فلما دخل بغداد ما زال يقعد في حلقة، ويقول لهم: قال الله، وقال الرسول، وهم يقولون: قال أصحابنا، حتى ما بقي في المسجد حلقة غيره<sup>(٢)</sup>.

وفي مصر: يشرح هذا الحال القاضي عياض المالكي فيقول: «وأما أرض مصر فأول أرض انتشر بها مذهب مالك بعد المدينة، وغلب عليها، وأطبق أهلها على الاقتداء به، إلى أن قدم عليهم الشافعي فكان واحداً منهم فيهم، إلى أن كثر عليه فتیان ابن أبي السّمح من فقهاءهم، وجرت بينه وبينهم خطوب اقتضت تحيزه مع أصحابه كما سنذكره في موضع ذكره، فنبه بها حينئذ مذهب الشافعي وكثر أصحابه والمتعصبون له، ومنها انتشر في الآفاق، ومذهب مالك في كل ذلك ظاهر بها غالب عليها إلى وقتنا هذا»<sup>(٣)</sup>.

(١) «تاريخ بغداد» (٦: ٥٧٦).

(٢) «تاريخ دمشق» (٥١: ٣٤٣).

(٣) «ترتيب المدارك» (١: ٢٥). وقال أيضاً (١: ٨٩): «ثم كان من وقوفه عن المشكلات وتحرّيه عن الكلام في المعوصات ما سلك به سبيل السلف الصالحين، وكان يرجح الاتباع، ويكره الابتداع والخروج عن سنن الماضيين، ثم سلك الشافعي سبيله، وبسط مأخذه في الفقه وأصوله، لكن خالفه في أشياء أداه إليه اجتهاده وثقوب فطنته، ولم يخلصه من دركها عدم استقلاله بعلم الحديث والأثر، وتزحزحه عن الانتهاء في معرفته، ثم ما جرى بينه وبين بعض المالكية بمصر وحمله عليه حتى تميز [يعني الشافعي] عنهم، بعد أن كان معدوداً فيهم وواحداً من جملتهم، فبان بأصحابه وتلاميذه، وصرح حينئذ بالخلاف والرد على أكبر أساتيدهم، كما سنذكر في أخباره بعد هذا إن شاء الله تعالى من قصته مع فتیان ابن أبي السّمح، وتعصبه عليه وامتحان ذلك الآخر به ودخول التنافر بينه وبين جماعتهم منذ ذلك بسببه».

العامل الثالث: تفرُّده بالمزج بين طريقتي المحدثين وأهل الرأي.

قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما زلنا نلعن أهل الرأي ويلعنوننا حتى جاء الشافعي فمزج بيننا»<sup>(١)</sup>. قال القاضي عياض: يُريد أنه [أي: الشافعي] تمسك بصحيح الآثار واستعملها، ثم أراهم أن من الرأي ما يحتاج إليه وتبني أحكام الشرع عليه، وأنه قياس على أصولها ومُنتزَع منها، وأراهم كيفية انتزاعها والتعلق بعلمها وتنبیها، فعلم أصحاب الحديث أن صحيح الرأي فرع الأصل، وعلم أصحاب الرأي أنه لا فرع إلا بعد الأصل، وأنه لا غنى عن تقديم السنن وصحيح الآثار أولاً. انتهى.

وعن إسحاق بن راهويه قال: ما تكلم أحد بالرأي وذكر الثوري والأوزاعي ومالك وأبا حنيفة إلا والشافعي أكثر أتباعاً وأقل خطأ منه.

وقال الإمام النووي في سرد ما جمعه الله الكريم لإمامنا الشافعي من الخيرات وجميل الصفات وأنواع المكرّمات ما نصّه: «ومن ذلك: أنه جاء بعد أن مهدت الكتب وصنفت وقررت الأحكام ونقحت، فنظر في مذاهب المتقدمين، وأخذ من الأئمة المبرزين، وناظر الحذاق المتقنين، فبحث مذاهبهم وسبرها وتحققها وخبرها، فلخص منها طريقة جامعة للكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولم يقتصر على ذلك كما وقع لغيره، وتفرغ للاختيار والتكميل والتنقيح مع كمال قوته وعُلُو هِمته وبراعته في جميع أنواع الفنون، واضطاعه منها أشد اضطلاع». انتهى<sup>(٢)</sup>.

ويقول الحافظ ابن حجر: «اجتمع له علم أهل الرأي وعلم أهل الحديث، فتصرّف في ذلك، حتى أصل الأصول، وقعد القواعد، وأذعن له الموافق والمخالف، واشتهر أمره، وعلا ذكره، وارتفع قدره، حتى صار منه ما صار»<sup>(٣)</sup>.

ويقول الإمام القاضي عياض المالكي مادحاً الشافعي فيما صنع من جمعه بين أصحاب الحديث والفقهاء: «تمسك بصحيح الآثار واستعملها، ثم أراهم أن من الرأي ما يحتاج إليه وتبني أحكام الشرع عليه، وأنه قياس على أصولها ومُنتزَع منها، وأراهم كيفية انتزاعها، والتعلق بعلمها وتنبیها، فعلم أصحاب الحديث:

(١) «ترتيب المدارك» (١: ٩١).

(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٤٩).

(٣) «توالي التأسيس» للحافظ ابن حجر (ص ٧٣).

أَنَّ صَحِيحَ الرَّأْيِ فَرْعُ الْأَصْلِ، وَعَلِمَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ أَنَّهُ لَا فَرْعَ إِلَّا بَعْدَ الْأَصْلِ، وَأَنَّهُ لَا غِنَى عَنْ تَقْدِيمِ السُّنَنِ وَصَحِيحِ الْأَثَارِ أَوَّلًا. وَنَحْنُ هَذَا فِي هَذَا الْفَصْلِ قَوْلُ ابْنِ وَهْبٍ: الْحَدِيثُ مَضَلَّةٌ إِلَّا لِلْعُلَمَاءِ، وَلَوْلَا مَالِكٌ وَاللَيْثُ لَضَلَلْنَا». انتهى<sup>(١)</sup>.

قال أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ الْأَزْدِيُّ يَرِثِي الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

تَوَخَّى الْهَدْيَ فَاسْتَقَدَّتْهُ يَدُ التَّقَى      مِنْ الزَّيْغِ إِنَّ الزَّيْغَ لِلْمَرْءِ صَارِعُ  
وَلَاذَ بَأَثَارِ الرَّسُولِ فَحُكْمُهُ      لِحُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ فِي النَّاسِ تَابِعُ  
وَعَوَّلَ فِي أَحْكَامِهِ وَقَضَائِهِ      عَلَى مَا قَضَى فِي الْوَحْيِ وَالْحَقُّ نَاصِعُ  
بَطِئَ عَنِ الرَّأْيِ الْمُخُوفِ التَّبَاسُ      إِلَيْهِ إِذَا لَمْ يَخْشَ لَبْسًا يُسَارِعُ  
فَمَنْ يَكُ عِلْمُ الشَّافِعِيِّ إِمَامَهُ      فَمَرَّتَعُهُ فِي بَاحَةِ الْعِلْمِ وَاسِعُ<sup>(٢)</sup>.

#### العامل الرابع: التَّمْيِزُ فِي التَّأْلِيفِ.

- كَثْرَةُ تَصَانِيفِهِ وَتَنَوُّعُهَا: قَالَ الْإِمَامُ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ: «قِيلَ: إِنَّ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ صَنَّفَ مِئَةً وَثَلَاثَةَ عَشَرَ كِتَابًا فِي التَّفْسِيرِ وَالْفَقْهِ وَالْأَدَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»<sup>(٣)</sup>.

قَالَ الرَّبِيعُ: «أَقَامَ الشَّافِعِيُّ هَاهُنَا أَرْبَعَ سِنِينَ، فَأَمَلَى أَلْفًا وَخَمْسَمِئَةَ وَرَقَةٍ، وَخَرَجَ كِتَابُ «الْأُمَّ» أَلْفِي وَرَقَةٍ، وَكِتَابُ «السُّنَنِ»، وَأَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ، كُلُّهَا فِي أَرْبَعِ سِنِينَ، وَكَانَ عَلِيًّا شَدِيدَ الْعِلَّةِ، فَكَانَ رَبِّهَا يَخْرِجُ الدَّمَّ مِنْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ حَتَّى تَمْتَلِئَ سَرَاوِيلُهُ وَمَرْكَبُهُ وَخُفُّهُ». انتهى<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ النُّوويُّ: «وَابْتَكَرَ كُتُبًا لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا مِنْهَا: أَصُولُ الْفَقْهِ، وَمِنْهَا: كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَكِتَابُ الْجُزْيَةِ وَقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَغَيْرِهَا»<sup>(٥)</sup>.

(١) «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (١: ٩١).

(٢) «طبقات الشافعيين» (ص ٦٨٦).

(٣) «المجموع» (١: ١١).

(٤) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٢٩١).

(٥) «المجموع» (١: ٩).

- سُرْعَةُ إنتاجه الْعِلْمِيِّ: قال ابنُ أبي حاتمٍ أيضًا: حدثنا بحرُ بنُ نصرٍ الحَوَلَانِيُّ المصريُّ، قال: قَدِمَ الشَّافِعِيُّ مِنَ الْحِجَازِ، فَبَقِيَ أَرْبَعَ سِنِينَ بِمِصْرَ، وَوَضَعَ هَذِهِ الْكُتُبَ فِي أَرْبَعِ سِنِينَ، ثُمَّ مَاتَ<sup>(١)</sup>.

عن إسحاق بن راهويه قال لما سُئِلَ: كَيْفَ وَضَعَ الشَّافِعِيُّ هَذِهِ الْكُتُبَ كُلَّهَا وَلَمْ يَكُنْ بِكَبِيرِ السِّنِّ؟ فَقَالَ: عَجَّلَ اللَّهُ لَهُ عَقْلَهُ؛ لِقَلَّةِ عُمُرِهِ<sup>(٢)</sup>.

وقد روى الرِّبِيعُ عن الشَّافِعِيِّ قال: أُرِيتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ آتٍ أَتَانِي فَحَمَلَ كُتُبِي وَبَثَّهَا فِي الْمَوَاءِ فَتَطَايَرَتْ. فَاسْتَعْبَرْتُ بَعْضَ الْمُعَبِّرِينَ فَقَالَ: إِنْ صَدَقْتُ رُؤْيَاكَ لَمْ يَبْقَ بَلَدٌ مِنْ بِلْدَانِ الْإِسْلَامِ إِلَّا وَدَخَلَهُ عِلْمُكَ<sup>(٣)</sup>.

- سَعَةُ دَائِرَةِ الْبَحْثِ وَقَتِ التَّأْلِيفِ: عن يحيى بن نصرٍ الحَوَلَانِيِّ المصريِّ قال: «كَانَ [الشَّافِعِيُّ] قَدْ أَقْدَمَ مَعَهُ مِنَ الْحِجَازِ كُتُبَ ابْنِ عُيَيْنَةَ، وَخَرَجَ إِلَى يَحْيَى بْنِ حَسَّانٍ<sup>(٤)</sup>، فَكَتَبَ عَنْهُ، وَأَخَذَ كِتَابًا مِنْ أَشْهَبِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، يُقَالُ: فِيهِ آثَارٌ وَكَلَامٌ مِنْ كَلَامِ أَشْهَبٍ، وَكَانَ يَضَعُ الْكُتُبَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيُصَنِّفُ الْكُتُبَ، فَإِذَا ارْتَفَعَ لَهُ كِتَابٌ جَاءَهُ كَاتِبٌ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ هَرَمٍ<sup>(٥)</sup> فَيَكْتُبُ، وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ الْبُيُوطِيُّ، وَيَجْمَعُ مَنْ يَحْضُرُ لِيَسْمَعَ، فَيُعَلِّمُ فِي كِتَابِ ابْنِ هَرَمٍ ثُمَّ يَنْسَخُونَهُ بَعْدُ، فَكَانَ الرِّبِيعُ عَلَى حَوَائِجِ الشَّافِعِيِّ، فَرُبَّمَا غَابَ فِي حَاجَةٍ، فَيُعَلِّمُ لَهُ، فَإِذَا رَجَعَ، قَرَأَ الرِّبِيعُ عَلَيْهِ مَا فَاتَهُ<sup>(٦)</sup>.

- الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ بِاحْتِمَالِ الْخَطَأِ، وَالْوَصِيَّةُ لِطُلَابِهِ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ: قَالَ الْبُيُوطِيُّ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَقَدْ أَلَفْتُ هَذِهِ الْكُتُبَ، وَلَمْ أَلْ فِيهَا، وَلَا بَدَأْتُ أَنْ يَوْجَدَ فِيهَا الْخَطَأُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، فَمَا وَجَدْتُمْ فِي كُتُبِي هَذِهِ مِمَّا يَخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، فَقَدْ رَجَعْتُ عَنْهُ<sup>(٧)</sup>.

(١) «طبقات الشافعيين» (ص ٥٥٥٠٠).

(٢) «مناقب الشافعي» (١: ٢٥٨).

(٣) «مناقب الشافعي» (١: ٢٥٨).

(٤) كان قد نزل «تنيس» شمالي القاهرة.

(٥) هو إبراهيم بن محمد بن هرم. قال ابن كثير: «أظنه مصرياً، ولكن لم أره في «تاريخ ابن يونس» فالله أعلم». وهو من عليّة أصحاب الشافعي. انظر: «طبقات الشافعيين» (ص ١٠٢) و«طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ٨١).

(٦) «تاريخ دمشق» (٥١: ٣٦٤).

(٧) «تاريخ دمشق» (٥١: ٣٦٥).

- تكرر النظر فيما يكتب، وتصحيحه وإعادة بنائه: قال ابن أخي عبد الله بن وهب: سمعت الشافعي يقول: إذا رأيت الكتاب فيه إلحاق وإصلاح فاشهد له بالصحة. وقال الربيع بن سليمان: قرأت «كتاب الرسالة المصرية» على الشافعي نيفًا وثلاثين مرة، فما من مرة إلا كان يصححها. ثم قال الشافعي في آخره: أباي الله أن يكون كتاب صحيح غير كتابه. قال الشافعي: يدل على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

- الثبوت فيمن ينقل وما ينقل عنه: قال أبو ثور: كنا نختلف إلى الشافعي ومعنا أبو عبد الرحمن، وكان يقول [يعني الشافعي] لنا: لا تدفعوا إلى أبي عبد الرحمن، يعرض لكم، فإنه يخطئ، وكان ضعيف البصر<sup>(٢)</sup>.

العامل الخامس: التخطيط لنشر مذهبه وتكوين مجموعة قوية من التلاميذ.

- الاعتناء بإظهار رأيه ونصرته، والرد على مخالفيه، واختيار نبهاء الطلاب وكبراء الشأن لذلك:

يروى البيهقي: أن الشافعي لما قدم بغداد نزل درب الزعفراني على الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، وكان فتى أديبًا متصلاً بالسلطان، وكان درب الزعفراني له، ودروب كثيرة. وكان الشافعي يعرفه عورات مذهب الكوفيين، حتى استجاب له، وسمع منه كتبه، وصار داعيةً للشافعي رحمه الله عليه<sup>(٣)</sup>.

قال التاج السبكي في وصف الزعفراني: «وذكر بعض المؤرخين أنه لم يكن في عصر الزعفراني أحسن صورة منه ولا أفصح لسانًا، وأنه لم يتكلم فيه أحد بسوء»<sup>(٤)</sup>.

وعن المروزي قال: سمعت أحمد بن حنبل قال: ما أحد من أصحاب الحديث حمل محبة إلا وللشافعي عليه منة. وقال الربيع بن سليمان مثل ذلك، فقلنا يا أبا محمد كيف ذلك؟ قال: إن أصحاب الرأي كانوا يهزأون بأصحاب الحديث حتى علمهم الشافعي وأقام الحجة عليهم<sup>(٥)</sup>.

(١) «مناقب الشافعي» (٢: ٣٦).

(٢) «ميزان الاعتدال» (٤: ٥٤٧).

(٣) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١: ٢٢٧).

(٤) «طبقات الشافعية» (٢: ١١٦).

(٥) «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» (ص ٧٦).

وقال النووي: «وصنّف كتبه الجديدة كلّها بمصر، وسار ذكره في البلدان، وقصده الناس من الشام والعراق واليمن وسائر النواحي للأخذ عنه وسماع كتبه الجديدة وأخذها عنه، وساد أهل مصر وغيرهم، وابتكر كتباً لم يسبق إليها منها: أصول الفقه، ومنها: كتاب القسامة وكتاب الجزية وكتاب أهل البغي وغيرها»<sup>(١)</sup>.

- قارئ كتب الشافعي عليه لم يكن يدري ما يؤول إليه أمر علم الشافعي: والواقع أنّ الزعفراني صار قارئ كتب الشافعي في حلقة ويحكي لنا خبر قراءته مع غيره كتب الشافعي عليه منبهاً إلى أمر غاية في الأهمية، فيقول: «قدم الشافعي رضي الله عنه فاجتمعنا، فقال: التمسوا من يقرأ لكم، فلم يجتر غيري، وما كان في وجهي شعرة، وإني لأتعجب من انطلاق لساني وجسارتي بين يديه، فقرأت الكتب كلّها إلا كتابين قرأهما هو، «المناسك» و«الصلاة»، ولقد كتبتها وإنا نحسب أننا في العبث، وما يحصل في أيدينا منها شيء، ولا نصدق بأنه يكون آخر أمرها إلى هذا؛ لأنه قد كان غلب علينا قول الكوفيّين». انتهى<sup>(٢)</sup>.

- الإجازة بكتبه، وفي ضمن ذلك الحكم بوثاقة الزعفراني عنه: فعن داود الأصبهاني قال: قال لي حسين الكرابيسي لما قدم الشافعي يعني إلى بغداد قدمته فقلت له: أتأذن لي أن أقرأ عليك الكتب فأبى. وقال: خذ كتب الزعفراني فقد أجزتها لك فأخذتها إجازة<sup>(٣)</sup>.

- الانتباه للفروق الشخصية بين طلابه في القدرة على ضبط مذهبه وروايته: قال أبو ثور: كنا نختلف إلى الشافعي ومعنا أبو عبد الرحمن، وكان يقول [يعني الشافعي] لنا: لا تدفعوا إلى أبي عبد الرحمن، يعرض لكم، فإنه يخطئ، وكان ضعيف البصر<sup>(٤)</sup>.

(١) «المجموع» (٩: ١).

(٢) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١: ٢٢٥).

(٣) «طبقات الشافعية» (٢: ١١٨).

(٤) «ميزان الاعتدال» (٤: ٥٤٧).

- إنشاء علاقات خاصة بينه وبين أفاضل طلابه والداعين لمذهبه والرفق بهم: فعن الزعفراني قال: قال لي أحمد بن حنبل: إذا رأيت الشافعي قد خلا فأعلمني. فكان يجيئه ارتفاع النهار فيبقى معه. قال أبو محمد: للأئس بينهما<sup>(١)</sup>. قال الزعفراني: ما قرأت على الشافعي حرفاً من هذه الكتب إلا وأحمد حاضر<sup>(٢)</sup>.

وكان الربيع تلميذ الشافعي راوية الشافعي ويحط على باب داره مئات الناس لتلقي علم الشافعي، فكتب له البويطي يوماً وكان رفيقاً له<sup>(٣)</sup>: «أن اصبر نفسك للغرباء، وحسن خلقك لأهل حلقك؛ فإني لم أزل أسمع الشافعي رحمه الله يكثر أن يتمثل بهذا البيت:

أهين لهم نفسي لكي<sup>(٤)</sup> يكرمونها<sup>(٥)</sup> ولن تكرم النفس التي لا تهينها<sup>(٦)</sup>

- رغبته بالرحيل إلى مصر وتشيد بنيانه بها:

فعن الربيع قال: «سمعت الشافعي، يقول في قصة ذكرها:

لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر ومن دونها أرض المهامه والقفر  
فوالله ما أدري ألفتوز والغنى أساق إليها أم أساق إلى قبري

قال: فوالله ما كان إلا بعد قليل حتى سيق إليها جميعاً<sup>(٧)</sup>.

حتى حدث الربيع المرادي تلميذ الشافعي وخادمه لما كان مع الشافعي بنصيبين قال: قال لي الشافعي يوماً: كيف تركت أهل مصر؟ فقلت: تركتهم على ضريين: فرقة منهم قد مالت إلى قول مالك وأخذت به واعتمدت عليه وذبت عنه وناضلت عنه، وفرقة قد مالت إلى قول أبي حنيفة، فأخذت به وناضلت عنه. فقال: أرجو أن أقدم مصر إن شاء الله، وآتيهم بشيء أشغلهم به عن القولين جميعاً. قال الربيع: ففعل ذلك والله حين دخل

(١) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١: ٢٢٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٤٧).

(٣) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ١٦٣).

(٤) البيت في «وفيات الأعيان» (٧: ٦٤):

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ولن تكرم النفس التي لا تهينها

(٥) المرجع السابق (٢: ١٦٥).

(٦) المرجع السابق (٢: ١٦٥).

(٧) «تاريخ بغداد» (٢: ٤١٠).

مصر<sup>(١)</sup>.

أقول: رَغْبَةُ الشَّافِعِيِّ لِلرَّحِيلِ إِلَى مِصْرَ، لَعَلَّهَا؛ لَأَنَّهَا كَانَتْ الْبَيْئَةُ الْأَنْسَبَ لِنَشْرِ رَأْيِهِ وَظُهُورِهِ؛ لِتَوَغُّلِ مَذْهَبِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي الْمَدِينَةِ وَالْحِجَازِ، وَمَذْهَبِ أَهْلِ الرَّأْيِ فِي الْعِرَاقِ، فَلَعَلَّ الشَّافِعِيَّ رَأَى فِي مِصْرَ الْبَيْئَةَ الْأَكْثَرَ خُصُوبَةً لِنَشْرِ مَذْهَبِهِ مَعَ أَنَّهُ بَهَا الْفَرِيقَانِ الْحَنْفِيُّ وَالْمَالِكِيُّ، لَكِنْ لَا بِقُوَّةٍ مَا هُمَا عَلَيْهِ فِي الْمَدِينَةِ وَالْعِرَاقِ. - سَعْيُهُ فِي تَكْوِينِ أُمَّةٍ اجْتِهَادٍ لَا مُجَرَّدَ أَتْبَاعٍ:

### النَّمُودَجُ الْعِرَاقِيُّ:

عَنْ حَرْمَلَةَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ وَمَا خَلَفْتُ بِهَا أَحَدًا أَتَقَى وَلَا أَوْرَعَ وَلَا أَفْقَهَ - أَظَنَّهُ قَالَ: وَلَا أَعْلَمَ - مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوِيَةَ: كُنْتُ أَجَالِسُ بِالْعِرَاقِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَى بْنَ مَعِينٍ وَأَصْحَابَنَا، فَكُنَّا نَتَذَكَّرُ الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقٍ وَطَرِيقَيْنِ وَثَلَاثَةً، فَيَقُولُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ مِنْ بَيْنِهِمْ: وَطَرِيقُ كَذَا وَطَرِيقُ كَذَا، فَأَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ صَحَّ هَذَا بِإِجْمَاعٍ مِنَّا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَأَقُولُ: مَا مُرَادُهُ؟ مَا تَفْسِيرُهُ مَا فَقَّهَهُ، فَيَقْفُونَ كُلُّهُمْ إِلَّا أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الدَّارِمِيِّ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَسْوَدَ الرَّأْسِ أَحْفَظَ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَعْلَمَ بِفَقْهِهِ وَمَعَانِيهِ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ<sup>(٤)</sup>.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُونُسَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَاصِمٍ، وَذَكَرَ الْفَقْهَ، فَقَالَ: لَيْسَ ثَمَّ يَعْنِي بِبَغْدَادَ، إِلَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ يَعْنِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، مَا جَاءَنَا مِنْ ثَمَّ أَحَدٍ غَيْرِهِ يُحْسِنُ الْفَقْهَ، فَذَكَرَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، فَقَالَ: بِيَدِهِ وَنَفَضَهَا<sup>(٥)</sup>.

إِذَا بَانَ هَذَا فِي حَقِّ أَحْمَدَ فَلْتَتَذَكَّرْ مَا كَانَ يَقُولُ أَحْمَدَ مَصُورًا حَالَ أَهْلِ الْحَدِيثِ قَبْلَ وَرُودِ الشَّافِعِيِّ عَلَيْهِمْ وَتَعْلِيمِهِ لَهُمْ، قَالَ: وَقَالَ: «مَا كَانَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ يَعْرِفُونَ مَعَانِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَدِمَ الشَّافِعِيُّ

(١) «مناقب الشَّافِعِيِّ» للبيهقي (١: ٢٣٨).

(٢) «تاريخ بغداد» (٦: ٩٠).

(٣) «تاريخ بغداد» (٦: ٩٠).

(٤) «تاريخ بغداد» (٦: ٩٠).

(٥) «تاريخ بغداد» (٦: ٩٠).

فَبَيَّنَهَا لَهُمْ»<sup>(١)</sup>. يقول الإمام أحمد بن حنبل: «كَانَ الْفَقْهُ قُفْلًا عَلَى أَهْلِهِ حَتَّى فَتَحَهُ اللَّهُ بِالشَّافِعِيِّ»<sup>(٢)</sup>. عن أحمد بن حنبل قال: هَذَا الَّذِي تَرَوْنَ كُلَّهُ أَوْ عَامَّتَهُ مِنَ الشَّافِعِيِّ، وَمَا بَتُّ مِنْهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَّا وَأَنَا أَدْعُوا اللَّهَ لِلشَّافِعِيِّ وَاسْتَغْفِرُ لَهُ<sup>(٣)</sup>.

النَّمُودَجُ الْمَصْرِيُّ: قَالَ الْإِمَامُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُحْيَى الْمَزْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مُقَدِّمَةِ «مُخْتَصَرِهِ» (٨: ٩٣): «اخْتَصَرْتُ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ عِلْمِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ؛ لِأَقْرَبِهِ عَلَى مَنْ أَرَادَهُ مَعَ إِعْلَامِهِ نَهْيَهُ عَنْ تَقْلِيدِهِ وَتَقْلِيدِ غَيْرِهِ؛ لِيَنْظُرَ فِيهِ لِدِينِهِ، وَيَحْتَاطَ فِيهِ لِنَفْسِهِ»<sup>(٤)</sup>.

عن الربيع قال: كَانَ لِأَبِي يَعْقُوبَ الْبُؤَيْطِيِّ مِنَ الشَّافِعِيِّ مَنْزِلَةٌ، وَكَانَ الرَّجُلُ رَبًّا يَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَيَقُولُ: سَلْ أَبَا يَعْقُوبَ. فَإِذَا أَجَابَهُ أَخْبَرَهُ فَيَقُولُ: هُوَ كَمَا قَالَ. قَالَ الرَّبِيعُ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْزَعَ لِحْجَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَبِي يَعْقُوبَ الْبُؤَيْطِيِّ. قَالَ: وَرُبَّمَا جَاءَ إِلَى الشَّافِعِيِّ رَسُولٌ صَاحِبُ الشَّرْطِ، فَيُوجِّهُ الشَّافِعِيُّ أَبَا يَعْقُوبَ وَيَقُولُ: هَذَا لِسَانِي<sup>(٥)</sup>.

قال يونس الصَّدْفِيُّ: مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنَ الشَّافِعِيِّ، نَاطَرْتُهُ يَوْمًا فِي مَسْأَلَةٍ، ثُمَّ افْتَرَقْنَا، وَلَقِينِي، فَأَخَذَ بِيَدِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُونَ إِخْوَانًا وَإِنْ لَمْ نَتَّفَقْ فِي مَسْأَلَةٍ<sup>(٦)</sup>. قَالَ الذَّهَبِيُّ مُعَلِّقًا عَلَى الْحِكَايَةِ: «قُلْتُ: هَذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ عَقْلِ هَذَا الْإِمَامِ، وَفَقْهِ نَفْسِهِ، فَمَا زَالَ النَّظَرَاءُ يَخْتَلِفُونَ»<sup>(٧)</sup>.

(١) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١: ٣٠١).

(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٦١).

(٣) «تاريخ بغداد» (٢: ٤٠٠).

(٤) «مختصر المزني» (٨: ٩٣).

(٥) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٣٣٩).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ١٦).

(٧) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ١٦).

المطلب الثاني: العوامل الخاصة بأصحاب الإمام الشافعي.

العامل الأول: اعتداد أصحابه بمذهب إمامهم وتفضيلهم له على غيره.

يكاد يكون من أعظم ما يمتنُّ به الله تعالى على العالم - بعد إخلاصه لله تعالى - هو ما يرزقهُ من الطلاب، فيقدر ما رزق طلاباً ناهين، حريصين على التشبُّع من علمه وفكره، مدققين مُحققين في أصوله وتطبيق فروعِهِ، نشطين في القيام على خدمته وخدمة مؤلفاته ونقل آرائه والتأصيل لفروعه واشتقاق قواعده وضوابطه والتفريع على أصوله وتوسيع دائرة علومه من علومه، مُخلصين في حمِّله ودعوة الناس إليه، والمنافحة عنه ما ظنَّ تابعه صوابه فيما ذهب إليه، وهذا ما طواه الشافعي في مقالته في حق الإمام الليث بن سعد (٩٤-١٧٥ هـ): «الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به». انتهى<sup>(١)</sup>.

وقد رزق الشافعي في طلابه كل ذلك كما يعلمه كل من وقف على تراجمهم وآثارهم.

ومما منَّ الله به على الشافعي تنوع أصحابه، فمن من هو من أئمة أهل الحديث في زمانه وبعد زمانه كأحمد بن حنبل والحميدي، ومنهم من هو من فقهاء أهل الرأي كأبي ثور، ومنهم من كان على مذهب الحنفية أو المالكية فرجع عنه إلى مذهب الشافعي كأبي ثور في العراق، ومحمد بن عبد الله بن الحَكَم في مصر.

وهذه جملة مما عبَّر به تلاميذ الشافعي عن إمامه ومقامه في العلم:

فمن أهل مكة: عن أحمد بن علي الجرجاني قال: كان الحميدي إذا جرى عنده ذكر الشافعي يقول: «حدثنا سيّد الفقهاء الشافعي»<sup>(٢)</sup>.

ومن أهل العراق: عن عبيد بن محمد بن خلف البرّاز قال: سئل أبو ثور، ف قيل له: أيُّما أفقه الشافعي أو محمد بن الحسن؟ فقال أبو ثور: الشافعي أفقه من محمد وأبي يوسف وأبي حنيفة وحماة وإبراهيم وعَلَمَة والأَسود<sup>(٣)</sup>.

(١) «تاريخ دمشق» (٥٠: ٣٥٨).

(٢) «تاريخ بغداد» (٢: ٤٠٨).

(٣) «تاريخ بغداد» (٢: ٤١٠).

وقال: مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ رَأَى مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ فِي عِلْمِهِ وَفَصَاحَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَثَبَاتِهِ وَتَمَكُّنِهِ فَقَدْ كَذَبَ، كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ مَنْقَطَعَ الْقَرِينِ فِي حَيَاتِهِ، فَلَمَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمْ يُعْتَضْ مِنْهُ<sup>(١)</sup>.

قلت: هذا اغتباطه بشيخه وما كان يراه هو، وإلا فَمَقَامُ المذكورين في الفقه في المقام الأسنى، وكَفَانَا قَوْلُ الشَّافِعِيِّ نَفْسِهِ فِي فَقْهَاءِ الْعِرَاقِ: «النَّاسُ عِيَالٌ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ فِي الْفَقْهِ»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي أيوب حميد بن أحمد البصري قال: كُنْتُ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ نَتَذَكَّرُ فِي مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ رَجُلٌ لِأَحْمَدَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَا يَصِحُّ فِيهِ حَدِيثٌ. فَقَالَ: إِنْ لَمْ يَصِحَّ فِيهِ حَدِيثٌ فَفِيهِ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ، وَحُجَّتُهُ أَثْبَتُ شَيْءٍ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: قُلْتُ لِلشَّافِعِيِّ: مَا تَقُولُ فِي مَسْأَلَةِ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: فَأَجَابَ فِيهَا. فَقُلْتُ: مَنْ أَيْنَ قُلْتَ؟ هَلْ فِيهِ حَدِيثٌ أَوْ كِتَابٌ؟ قَالَ: بَلَى. فَتَرَعَّ فِي ذَلِكَ حَدِيثًا لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ حَدِيثُ نَصٍّ<sup>(٣)</sup>.

عن أحمد بن حنبل قال: هَذَا الَّذِي تَرَوْنَ كُلَّهُ أَوْ عَامَّتُهُ مِنَ الشَّافِعِيِّ، وَمَا بَتُّ مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَّا وَأَنَا أَدْعُوا اللَّهَ لِلشَّافِعِيِّ وَاسْتَغْفِرُ لَهُ<sup>(٤)</sup>.

وقال أحمد لما سُئِلَ عَنِ الشَّافِعِيِّ: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهِ، لَقَدْ كُنَّا تَعَلَّمْنَا كَلَامَ الْقَوْمِ، وَكُتِبْنَا كُتُبَهُمْ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْنَا، فَلَمَّا سَمِعْنَا كَلَامَهُ، عَلِمْنَا أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْ غَيْرِهِ، وَقَدْ جَالَسْنَاهُ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي، فَمَا رَأَيْنَا مِنْهُ إِلَّا كُلَّ خَيْرٍ»<sup>(٥)</sup>. وقال أيضاً: لَوْلَا الشَّافِعِيُّ مَا عَرَفْنَا فَقْهَ الْحَدِيثِ<sup>(٦)</sup>. وقال: لَقَدْ كَانَ يَذُبُّ عَنِ الْآثَارِ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٧)</sup>. وقال أيضاً: قَدِمَ عَلَيْنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ وَحَثَّنَا عَلَى طَلَبِ الْمُسْنَدِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْنَا الشَّافِعِيُّ وَضَعْنَا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ<sup>(٨)</sup>. ولذا كَانَ الشَّافِعِيُّ - كَمَا يَرَوِي عَنْهُ صَاحِبُهُ حَرْمَلَةٌ أَنَّهُ سَمِعَهُ - يَقُولُ: «سُمِّيْتُ بِبَغْدَادٍ نَاصِرَ الْحَدِيثِ»<sup>(٩)</sup>.

(١) «تاريخ بغداد» (٢: ٤٠٧).

(٢) «آداب الشافعي ومناقبه» لابن أبي حاتم الرازي (ص ١٦١).

(٣) «تاريخ بغداد» (٢: ٤٠٦).

(٤) «تاريخ بغداد» (٢: ٤٠٠).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٥٨).

(٦) «تاريخ دمشق» (٥١: ٣٤٥).

(٧) «تاريخ دمشق» (٥١: ٣٤٥).

(٨) «تاريخ دمشق» (٥١: ٣٤٥).

(٩) «تاريخ بغداد» (٢: ٤٠٨).

وعده أحمد مجدّد المئة الثانية: قال أحمد بن حنبل: إنّ الله تعالى يُقيّض للناس في كل رأس مئة سنة من يُعلّمهم السنن، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب. فنظرنا فإذا في رأس المئة عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المئتين الشافعي<sup>(١)</sup>.

ومن أهل مصر: عن سعيد بن عمرو البردعيّ قال: سمعتُ محمد بن عبد الله بن عبد الحَكَم [وقد كام مالكيًا فصحب الشافعيّ وانتقل إلى مذهبه] يقول: ليس «أبو عبيد» عندنا بفقير. قلتُ: لم؟ قال: لأنه يجمع أقاويل الناس ويختار لنفسه منها قولًا. قلت: فمن الفقيه؟ قال: الذي يستنبط أصلًا من كتاب أو سنة لم يسبق إليه، ثمّ يشعب في ذلك الأصل مئة شعبة، قيل: ومن يقوى على هذا؟ قال: محمد بن إدريس الشافعيّ رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

العامل الثاني: نشاطهم في نشر مذهب إمامهم والدعوة إلى طلبه وكتابته، مع طول عمر كثير من أصحابه وأصحابهم.

عن محمد بن يوسف بن النضر قال: سمعتُ أبا الطاهر بن الربيع بن سليمان أو غيره يقول: حجّ الربيع بن سليمان في سنة أربعين ومئتين، والتقى مع أبي عليّ الحسن بن محمد الزعفرانيّ بمكة، فسلم أحدهما على الآخر، فقال له الربيع: يا أبا عليّ، أنت بالمشرق وأنا بالمغرب، فنبئتُ هذا العلم - يعني علم الشافعيّ - (٣).  
- مصر والعراق واليمن والشام وخراسان: قال القاضي عياض: «وأما الشافعيّ فكثُر أتباعه وظهر مذهبه ظهورَ مذهبيّ مالك وأبي حنيفة قبله، وكان أول ظهوره بمصر وكثُر أصحابه بها مع المالكية، وبالعراق وبغداد وغلب عليها وعلى كثير من بلاد خراسان والشام واليمن إلى وقتنا» (٤).

(١) «تاريخ بغداد» (٢: ٤٠٠).

(٢) «مناقب الشافعيّ» للبيهقي (٢: ٢٧٢) و«تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١: ٦٢).

(٣) «مناقب الشافعيّ» للبيهقي (٢: ٣٦٠).

(٤) «ترتيب المدارك» (١: ٦٦). وقال قبل ذلك (١: ٢٣): «وذكرنا من بلدانهم وأوطانهم ورجالهم وقضاتهم إذ كان ينوع هذا المذهب بالمدينة فيها تفجر ومنها انتشر، فكانت المدينة كلها على ذلك الرأي وخرج منها إلى جهات من الحجاز واليمن فانتشر هنالك بأبي قرة القاضي ومحمد بن صدقة الفرقي وأمثالهم، واستقر ببلاد العراق بالبصرة فغلب عليها بابن مهدي والقعني وغيرهما ثم باتباعهم من ابن المعدل، ويعقوب بن شيبه آل حماد بن زيد إلى أن دخلها بعض الشافعيّة فتشارك المذهبان جميعاً إلى

## - العراق:

نشاط الزعفراني في إقراء المذهب وروايته: يقول الإمام البيهقي: قلت: وأما أبو علي: الحسن بن محمد الصباح الزعفراني، فإنه يشارك الشافعي في كثير من شيوخه مثل سفيان بن عيينة، وإسماعيل بن علكية، وعبد الوهاب بن عبد المجيد، وغيرهم. وحين قدم الشافعي العراق لزم الشافعي، واختاره أحمد بن حنبل، وأبو ثور، وغيرهما لقراءة الكتب على الشافعي؛ فإنه كان بصيراً باللغة. ثم صار هو الراوي للكتب القديمة، وإليه يُرْحَل في سماعها. قرأت في كتاب زكريا بن يحيى الساجي: سمعت «الحسن بن محمد» في سنة ست وخمسين ومائتين يقول: إني لأقرأ كتب الشافعي وتقرأ عليّ منذ خمسين سنة (١).

أبو عبد الرحمن أحمد بن يحيى بن عبد العزيز البغدادي الشافعي المتكلم، قال الإمام ابن عبد البر: «كان يُعرف بالشافعي؛ لتحقيقه به وذبه عن مذهبه، صحبه ببغداد، وكان يُناظر على مذهبه. وكان من جلة العلماء وحذاق المتكلمين والعارفين بالإجماع والاختلاف. وكان رفيقاً عند السلطان وذوي الأقدار، عالماً بالحديث والأثر، متسّعاً في العلم، مع تمكّن النظر والجدل والاقتدار على الكلام. وهو أول من خلف الشافعي بالعراق في الدّب عن أصوله ومذهبه والنصرة لقوله، حتى عُرف به، وكان أحد العشرة الذين اختارهم المأمون لمجلسه والكلام بحضرته وسماهم إخوته (٢).

وهذا الإمام أحمد يرشد سائله إلى كتابة رأي الشافعي: فعن محمد بن فزارة الرازي قال: قلت لأحمد بن حنبل: إني كتبت الحديث وأكثرته منه، فلا بد لي من النظر في الرأي. فقال أحمد بن حنبل: لا تفعل. فقلت: لا بدّ أكتب رأي الأوزاعي أو رأي الثوري أو رأي مالك. قال: إن كنت لا بدّ كاتباً للرأي فاكْتُب رأي الشافعي، وعليك بالبويطي فاسمعه منه، فإن فاتك فأبو الوليد بن أبي الجارود بمكة (٣).

## - مصر:

منها خرج المذهب للخافقين، ويمكن تلخيص نشاط أصحاب الشافعي في:

وقتنا هذا».

(١) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٣٥٨).

(٢) «لسان الميزان» (٩: ١١٣).

(٣) «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» (ص ٧٦).

١- تدرّيس البُويطيّ وتأليفه: هو مَنْ خلفَ الشافعيّ في مجلسه، وبقي قائماً عليه إلى أن حُبسَ في فتنه القول بخلق القرآن، فحُمِلَ إلَى بغداد، فخلفه المزنيّ، وصنّف البويطيّ «مختصره» في الفقه<sup>(١)</sup>.

٢- تدرّيس المزنيّ وتأليفه: قال البيهقي: «وحيث وقع للبويطي ما وقع كان القائم بالتدرّيس والتفقيه على مذهب الشافعي رحمه الله أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزنيّ رحمه الله، صنّف من كتب الشافعيّ ومما أخذه عنه: «المختصر الكبير»، ثمّ صنّف «المختصر الصغير» الذي سار في بلاد المسلمين وانتفعوا به<sup>(٢)</sup>.

٣- السماع من الربيع: قال الإمام أبو الحسن محمد بن عبد الله بن جعفر الرازيّ في كتابه «مناقب الشافعيّ»: سمعتُ أبا عمر أحمد بن عليّ بن الحسن البصريّ قال: سمعتُ محمد بن حمدان بن سفيان الطّرايفيّ البغداديّ يقول: حضرتُ الربيع بن سليمان يوماً وقد حطّ على باب داره سبعةٌ راحلةٍ في سماع كتب الشافعيّ رحمه الله ورضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

ويقول البيهقي: «والربيع هو الراوي للكتب الجديدة على الصدق والإتقان، وربّما فاتته صفحات من كتاب فيقول فيها: قال الشافعي، أو يرويها البُويطي عن الشافعي». ثمّ روى عن زكريا بن يحيى الساجي قال: سمعتُ عبد الرحمن بن الجارود - يعني أبا بشر - يقول: سمعتُ «البُويطي» يقول: «الربيع» في الشافعي أثبت مني». قال البيهقي: وصارت الرواحل تُشدُّ إليه من أقطار الأرض في سماع كتب الشافعيّ رحمه الله. قرأتُ في كتاب زكريا بن يحيى الساجي: سمعتُ «الربيع بن سليمان» سنة خمسٍ ومئتين يقول: إني لأقرأ كتب الشافعيّ على الناس وأنا ابنُ خمسٍ وثلاثين سنةً ما كان في رأسي ولحيتي شعرةٌ بيضاء. قال زكريا: وأنا أقول: إني قرأتها سنة إحدى وخمسين وما في رأسي ولحيتي شعرةٌ بيضاء، وهي السنة التي قدّمتُ من مصر<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر خبر تخليف الشافعيّ للبويطي في: «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٣٣٧-٣٣٩).

وفي «طبقات الفقهاء الشافعية» لابن الصلاح (٢: ٦٨٤): «و«مختصر البويطي» رواه الربيع عن الشافعي، وأظنُّ هذا أو نحوه هو الذي أوقع الحاكم أبا عبد الله الحافظ في أن قال: والذي أراه الحقَّ ما رأيته عن عليّ بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي مطر القاضي الإسكندري قال: صنّف أبو يعقوب البويطيّ هذا الكتاب، وقرأه على الشافعيّ رضي الله عنه بحضرة الربيع بن سليمان رحمهما الله فحصلَ سماعاً للربيع، وأخبرنا به عن الشافعي رضي الله عنه».

(٢) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٣٤٤).

(٣) «المجموع» للنووي (١: ٩).

(٤) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٣٥٨).

٤- أبو علي كُنيز، خادمُ الخليفة المنتصر بن المتوكل. قال الذهبي: كان من أئمة المذهب، تفقه على الزعفراني، فلما قُتل المنتصر خرج إلى مصر، وأخذ الفقه عن حرملة والربيع، وكان يجلس في حلقة ابن عبد الحكم ويُناظرهم فقامت قيامتهم منه، فسعوا به إلى أحمد بن طولون، وقالوا: هذا جاسوس من بغداد، فحبسه سبع سنين، فلما مات ابن طولون أُخرج وذهب إلى الإسكندرية، فأقام سبع سنين، وأعاد كل صلاة صلاتها في الحبس، ثم ذهب إلى الشام وأقام بجامع دمشق<sup>(١)</sup>. قال التاج السبكي: «كان يُقَرَأُ الفقه بجامع دمشق على مذهب الشافعي بعد أن أقام بمصر مدةً يذُبُّ عن مذهبه ويُناظر المالكيين حتى سَعَوْا به إلى أحمد بن طُولُون»<sup>(٢)</sup>.

٥- أبو علي عبد العزيز بن عمران بن أيوب بن مقلاص الخزاعي المصري (ت ٢٣٤هـ)، كان من أكبر أصحاب ابن وهب، فلما قدم الشافعي مصرَ لازمه، وأخذ عنه، وتفقه على مذهبه، وكان مقبولا عند القضاة، وقد تفرد بأقوال غريبة عن الشافعي<sup>(٣)</sup>.

٦- محمد بن عبد الله بن الحكم، كان مالكيًا فلزم الشافعي وصحبه واتبعه، إلى أن اختلف والبويطي فيمن يجلس بعد الشافعي موضعه في الدرس، فخلف الشافعي البويطي، فتغيظ محمد وترك مذهب الشافعي ورجع إلى مذهب مالك، لكن ومع هذا يقول البيهقي: «قلت: ومع انتقاله إلى مذهب مالك كان يقول بفضل الشافعي، رحمه الله، كما سبق ذكرنا له ويقرأ عليه كتب الشافعي»<sup>(٤)</sup>.

(١) «حسن المحاضرة» (١: ٣٩٩).

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ٣٤٦).

(٣) «طبقات الشافعيين» (ص ١٤١).

(٤) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٣٤٣). وكان عبد الله بن الحكم والد محمد مالكيًا وكان يحث ولده على الشافعي كما قال البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢: ٣٤١) قال: «أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ قال: أخبرني عبد الله بن محمد بن حيان قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن الأصبهاني قال: سمعت الحسين بن علي ابن الأشعث يقول: سمعت «محمد بن عبد الله بن عبد الحكم» يقول: كنت أتردد إلى الشافعي فاجتمع قوم من أصحابنا إلى أبي فقالوا: يا أبا محمد، إن محمدًا انقطع إلى هذا الرجل ويتردد إليه فيرى الناس أن هذا رغبة عن مذهب أصحابه، فجعل أبي يلاطفهم فيقول: هو حدث، وهو يحب النظر في اختلاف أقاويل الناس ومعرفة ذلك، ويقول في السر: يا بُني، الزم هذا الرجل؛ فإنه عسى أن يخرج يومًا من هذا البلد فتقول. قال (١) ابن القاسم فيقال لك: من ابن القاسم؟ وذكر قصة في تصديق قول أبي.

وفي كتاب العاصمي: عن محمد بن رمضان، عن ابن عبد الحكم. فذكر هذه القصة، وقال عن «ابن عبد الحكم» أيضًا: قال لي أبي

نشأة الفقه الشافعي وعوامل انتشاره / د. أمجد رشيد  
نسخة غير نهائية تحت التصحيح والزيادة  
- أسوان جنوبي مصر: أبو حنيفة قحزم بن عبد الله بن قحزم الأسواني (ت ٢٧١هـ)، روى عن الشافعي، وكان عالماً أديباً، كان من جلة أصحاب الشافعي، وإنما أحمَلته أسوان وإقامته بها، وكان يُفتي بها على مذهب الشافعي، ويُدرّس سنين<sup>(١)</sup>.

- مكة المكرمة: أبو الوليد موسى بن أبي الجارود المكي، راوي كتاب «الأمالي» عن الشافعي، وأحد الثقات من أصحابه والعلماء...، وكان فقيهاً جليلاً، أقام بمكة يُفتي الناس على مذهب الشافعي<sup>(٢)</sup>.  
وكذلك عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي (...)، قال الخطيب: وكان من أهل العلم والفضل وله مصنفات عدة وكان ممن تفقه بالشافعي واشتهر بصحبته. وقال داود بن علي الظاهري كان عبد العزيز بن يحيى أحد أتباع الشافعي والمقتبسين عنه، وقد طالت صحبته له، وخرج معه إلى اليمن، وآثار الشافعي في كتب عبد العزيز ظاهرة<sup>(٣)</sup>.

أبو بكر الحميدي عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي أبو بكر الحميدي المكي

حين قدم الشافعي: يا بني، عليك بالشافعي؛ فإنك لو جاوزت هذا البلد فتكلمت في مسألة فقلت فيها: قال أشهب قيل لك: ومن أشهب؟ فلزمت الشافعي، وما زال كلام الشيخ في قلبي حتى خرجت إلى العراق، فكلّمني القاضي بحضرة جلسائه في مسألة فقلت فيها: قال أشهب عن مالك، [فقال: ومن أشهب؟] وأقبل على جلسائه فقال بعضهم كالمنكر: ما أعرف أشهب ولا أبلق.

وقال البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢: ٣٤٣): أخبرني عبد الرحمن - يعني ابن محمد بن إدريس - قال: سمعت: «محمد بن عبد الله بن عبد الحكم» يقول: ما من أحد ممن خالفنا - يعني خالف مالكا - أحب إليّ من الشافعي. أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: أخبرني عبد الله بن محمد بن حيان قال: أخبرني أبو جعفر: محمد بن عبد الرحمن قال: أخبرني الحسن بن علي بن الأشعث قال: أخبرني أبو الليث بن الأيلي قال: سألتنا «محمد بن عبد الله بن عبد الحكم» أن نقرأ عليه كتب الشافعي فأجابنا إلى ذلك على أن تكون قراءتنا في منزله. قال: فجئنا فابتدأنا بالقراءة عليه، وكان رجل ممن يتفقه بقول المدنيين يقال له: محمد بن سعيد المقرئ له عنده مجلس. قال: فجاء فوجدنا ونحن نقرأ عليه فقال لنا: روحوا فإن لنا مجلساً، وأي شيء نصنع بهذه الكتب؟ قال: فقلت له أنا - ومحمد يسمع - ليس يمنعك أنت من هذه الكتب إلا أنك لا تحسن تقرأها. فقال: أنا لا أحسن أن أقرأها؟ أنا أقرأ كتب عبد الملك بن الماجشون، أفلا أحسن أن أقرأ كتب الشافعي؟! قال: وكان «محمد» متكئاً فجلس إنكاراً لقوله فقال: يا أبا عبد الله، والله ما عبد الملك بن الماجشون عند محمد بن إدريس الشافعي إلا بمنزلة الفطيم عند الكبير.

(١) «تاريخ ابن يونس» (١: ٣٩٩) و«طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ١٦٠)

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ١٦١) و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شعبة (١: ٧٠).

(٣) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ١٤٥).

صاحب الشافعي ورفيقه في الرحلة إلى الديار المصرية، ونزيله وتلميذه بعد أن كان منحرفاً عليه، فمال إليه واستفاد منه<sup>(١)</sup>.

- **أصبهان:** الحسن بن محمد بن مزيد أبو سعيد، توفي قبل (٢٨٠هـ)، قال أبو نعيم الأصبهاني قال: يروي عن الشاميّين والمصريّين، وهو أول من حمل علم الشافعي إلى أصفهان، يروي عن أهل مصر<sup>(٢)</sup>.

- **جرجان:** أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي الجرجاني المعروف بالأستراباذي (٢٤٢-٣٢٣هـ)، سمع كثيرين منهم ببغداد الزعفراني، وبمصر محمد بن عبد الله بن عبد الحكم والربيع بن سليمان، كان أحد أئمة المسلمين، ومن الحفاظ لشرائع الدين مع صدق وتورّع وضبط وتيقظ، سافر الكثير، وكتب بالعراق والحجاز والشام ومصر<sup>(٣)</sup>. قال الذهبي: «كان مقدماً في الفقه والحديث، وكانت الرحلة إليه»<sup>(٤)</sup>.

- **شيراز:** أبو مسلم نوح بن منصور بن مرداس السلمي (٢٩٥هـ)، سمع الزعفراني ببغداد، ورحل إلى مصر وكتب بها كتب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلى والربيع بن سليمان، ثم استوطن شيراز<sup>(٥)</sup>.

- **بلخ:** أحمد بن الحسين بن سهل أبو بكر الفارسي صاحب عيون المسائل في نصوص الشافعي وهو كتاب جليل على ما شهد به الأئمة الذين وقفوا عليه تفقه على ابن سريج نقل عنه الرافعي في أول صفة الوضوء ثم في الوضوء أيضاً ثم في المسح على الخفين ثم في الاستحاضة ثم في مواقيت الصلاة ثم كرر النقل عنه ومما نقله عنه شاذ أن العشاء يخرج وقتها بخروج وقت الاختيار مات في حدود سنة خمسين وثلاثمائة وذكره العبادي في طبقاته وقال مصنف كتاب العيون على مسائل الربيع والأصول وكتاب الانتقاد على المزني وكتاب الخلاف معه ذكره في الطبقة الثانية الآخذين عن أصحاب الشافعي وذكر ابن سريج في الثالثة فعجبت من ذلك ثم رأيت السبكي حكى عن محمود الخوارزمي انه ذكر انه تفقه على المزني وهو أول من درس ببلخ<sup>(٦)</sup>.

(١) «طبقات الشافعيين» (ص ١٣٩).

(٢) «تاريخ دمشق» (١٣: ٣٨٦) و«طبقات الشافعيين» (١: ١٣١).

(٣) «تاريخ بغداد» (١٢: ١٨٢).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٤: ٥٤٢).

(٥) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ٣٤٦).

(٦) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (١: ١٢٣).

- سَمِعَ النَّاسُ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْأَصَمِّ: مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأُمَوِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ، كَانَ مُحَدِّثَ عَصْرِهِ بِلَا مَدَافَعَةٍ، حَدَّثَ فِي الْإِسْلَامِ سِتًّا وَسَبْعِينَ سَنَةً، سَمِعَ مِنْهُ الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ وَالْأَحْفَادُ، سَمِعَ مِنْهُ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ كِتَابَ «الرَّسَالَةِ»، ثُمَّ سَمِعَهَا مِنْهُ ابْنُهُ أَبُو الْحَسَنِ، ثُمَّ ابْنُهُ عُمَرُ. قَالَ الذَّهَبِيُّ: مَا رَأَيْتُ الرَّحَالََةَ فِي بَلَدٍ أَكْثَرَ مِنْهُمْ إِلَيْهِ، رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَالْقَيْرَوَانِ وَمِنْ أَهْلِ فَارَسٍ وَخُوزِسْتَانَ عَلَى بَابِهِ<sup>(١)</sup>.

- إِسْفَرَايِينَ: الْحَافِظُ الْكَبِيرُ أَبُو عَوَانَةَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ النَّيْسَابُورِيِّ الْإِسْفَرَايِينِيِّ (.....)، صَاحِبُ «الْمُسْتَخْرَجِ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، سَمِعَ بِخُرَّاسَانَ وَالْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَفَارَسَ وَأَصْبَهَانَ وَمِصْرَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ إِلَى إِسْفَرَايِينَ، أَخَذَهُ عَنِ الْمَزْنِيِّ وَالرَّبِيعِ<sup>(٢)</sup>.

- دِمَشْقُ: أَبُو زُرْعَةَ مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الدَّمَشْقِيِّ (ت ٣٠٢هـ). وَلِيَّ قِضَاءِ مِصْرَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ طَوْلُونَ، فَأَقَامَ فِيهِ ثَمَانِي سِنِينَ، ثُمَّ وَلِيَ قِضَاءَ دِمَشْقَ، فَأَدْخَلَ فِيهَا مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ، وَحَكَمَ بِهِ الْقِضَاءَ بَعْدَ أَنْ كَانَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ مَذْهَبُ الْأَوْزَاعِيِّ<sup>(٣)</sup>. وَتَوَلَّى وَلَدُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ الْقِضَاءَ أَيْضًا بِمِصْرَ وَالشَّامِ، مَاتَ سَنَةَ (٣٢٧هـ) عَنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً<sup>(٤)</sup>.

قَالَ التَّاجُ السَّبْكِ: «وَلَمْ يَلِ بَعْدَهُ قِضَاءَ مِصْرَ وَلَا قِضَاءَ الشَّامِ إِلَّا شَافِعِيٌّ الْمَذْهَبُ، غَيْرَ ابْنِ خُدَيْمٍ قَاضِيِ الشَّامِ فَإِنَّهُ كَانَ أَوْزَاعِيٌّ الْمَذْهَبُ، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ لِلشَّافِعِيَّةِ مِصْرًا وَشَامًا إِلَى أَنْ ضَمَّ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرسَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِئَةَ الْقِضَاءَةِ الثَّلَاثَةَ إِلَى الشَّافِعِيَّةِ». انْتَهَى<sup>(٥)</sup>.

وَمِنْ لَطَائِفِ أَبِي زُرْعَةَ الْقَاضِي: أَنَّهُ كَانَ يَهْبُ لِمَنْ يَحْفَظُ «مُخْتَصَرَ الْمَزْنِيِّ» مِئَةَ دِينَارٍ<sup>(٦)</sup>.

(١) «تاريخ الإسلام» (٧: ٨٤١).

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» (٣: ٤٨٧).

(٣) «حسن المحاضرة» (١: ٣٩٩).

(٤) «حسن المحاضرة» (١: ٣٩٩).

(٥) «حسن المحاضرة» (١: ٣٩٩).

(٦) «طبقات الشافعية الكبرى» (٣: ١٩٧).

- الجزيرة وحلب: القاضي أبو عثمان محمد بن إمامنا الشافعي (ت ٢٤٠هـ)، وهو أكبر أولاده، ولما توفي والده كان بالغاً مُقِيماً بمكة، وله رواية عن أبيه<sup>(١)</sup>، ولي قضاء الجزيرة وحلب، وبقي بها سنين كثيرة، وأعقب ثلاثة بنين، ومات بالجزيرة<sup>(٢)</sup>.

- مَرُو: الإمام الحافظ الزاهد أبو محمد عبدان بن محمد بن عيسى المَرَوَزِيُّ الجُنُوزِيُّ<sup>(٣)</sup> (١)، كان إمام أصحاب الحديث في عصره بمَرُو، رحل إلى مصر وقرأ علم الشافعي على المزني والربيع، وبرع في المذهب، وهو أول من حمل «مختصر المزني» إلى مَرُو، وأظهر بها مذهب الشافعي. يقول أبو سعد ابن السمعاني: «وعبدان هو الذي أظهر مذهب الشافعي بمَرُو بعد أحمد بن سيّار؛ فإن أحمد بن سيّار حمل كتب الشافعي إلى مَرُو، وأعجب بها الناس، فنظر في بعضها عبدان وأراد أن ينسخها فمَنَعَهَا أحمد بن سيّار عنه، فباع ضيعة له بجُنُوزٍ وخرج إلى مصر وأدرك الربيع وغيره من أصحاب الشافعي، ونسخ كتبه، وأدرك من المشايخ والفقهاء ما لم يدرك غيره، وحمل عنهم، ورحل إلى الشام والعراق وكتب عن أهل مصر، ورجع إلى مَرُو، وكان أحمد بن سيّار في الأحياء، فدخل عليه مسلماً ومُهَنِّئاً بالقدوم، فاعتذر أحمد بن سيّار من منع الكتب عنه، فقال عبدان: لا تعتذر؛ فإن لك منة علي في ذلك، وذلك أنك لو دفعت إلي الكتب كنت اقتصرت على ذلك، وما كنت أخرج إلى مصر، ولا كنت أدرك أصحاب الشافعي. ففرح بذلك أحمد بن سيّار». انتهى<sup>(٤)</sup>.

(١) قال التاج السبكي في «الطبقات» (٢: ٧٣): «ومن روايات أبي عثمان عن أبيه رضي الله عنه: روى البيهقي في «أحكام القرآن» عن الحاكم أن أبا أحمد بن أبي الحسن أخبره قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحنظلي حدثنا أبي حدثنا عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال حدثني أبو عثمان محمد بن محمد بن إدريس الشافعي قال: سمعت أبي يقول ليلة للحميدي: ما تحتج عليهم - يعني على أهل الإرجاء - بآية أحجّ من قوله عز وجل: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾. انتهى.

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ٧٢-٧٣).

(٣) قرية من قرى مَرُو. «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ٢٩٧).

(٤) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ٢٩٨).

نشأة الفقه الشافعي وعوامل انتشاره / د. أمجد رشيد

نسخة غير نهائية تحت التصحيح والزيادة

- بخارى: أبو سهل محمود بن النضر بن واصل البخاري الباهلي، حصر البويطي، وهو أول من حمل كتب الشافعي إلى بخارى<sup>(١)</sup>.

- الأهواز: القاضي أبو بكر موسى بن إسحاق بن موسى الأنصاري الخطمي الشافعي، قاضي نيسابور، وولي قضاء الأهواز (ت ٢٩٦هـ) وقد قارب التسعين سنة، عن قال أحمد بن كامل القاضي: كان فصيحا، كثير السماع، محمودا، يظهر انتحال المذهب الشافعي<sup>(٢)</sup>.

- القيروان بتونس: قال القاضي عياض: «وكان بالقيروان قوم قلة في القديم أخذوا بمذهب الشافعي ودخلها شيء من مذهب داوود، ولكن الغالب إذ ذاك مذهب المدينة والكوفة»<sup>(٣)</sup>.

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن علي البجلي الشافعي القيرواني، من فضلاء المغرب الشافعيين، من أصحاب الربيع بن سليمان<sup>(٤)</sup>. وقال ابن كثير: «من أكابر الشافعية ببلاد المغرب»<sup>(٥)</sup>.

- قرطبة بالأندلس: أبو محمد قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيّار (ت ٢٧٨هـ)، من قرطبة، رحل فسمع من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم والمزني ويونس، ولزم ابن عبد الحكم للفقه والمناظرة، وصحبه، وتحقق به وبالمزني، فذهب مذهب الحجة والنظر، وترك التقليد، ويميل إلى مذهب الشافعي.

وروى عن أبيه محمد قال: قلت لأبي: يا أبة، أوصني، فقال: أوصيك بكتاب الله، فلا تنس حظك منه، واقرأ كل يوم منه جزءا، واجعل ذلك عليك واجبا، وإن أردت أن تأخذ من الأمر بحظ - يعني الفقه - فخذ برأي الشافعي، فإني رأيتُه أقل خطأ. قال أبو الوليد: لم يكن بالأندلس مثل قاسم بن محمد في حسن النظر، والبصر بالحجة<sup>(٦)</sup>.

(١) «طبقات الشافعيين» (ص ١٦٠).

(٢) «طبقات الشافعيين» (ص ١٨٧-١٨٨).

(٣) «ترتيب المدارك» (١: ٢٦).

(٤) «ترتيب المدارك» (١: ٢٦). «طبقات الفقهاء الشافعية» (١: ٢٣٥).

(٥) «طبقات الشافعيين» (ص ١٨٧).

(٦) «طبقات الفقهاء الشافعية» (٢: ٦٦٧). وانظر ترجمته أيضا في: «طبقات الشافعية الكبرى» (٢: ٣٤٤) و«جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» (ص ٣٢٩) ففيها فوائد.